في سبيل الهدى والرشاد

تأليف
محمد بن علوي المالكي الحسني

الطبعة الأولى
١٤٠١ هـ

في سبيل الهدى والرشاد

تأليف

محمد بن علوي المالكي الحسني

١٤٠١ هـ

مطابع

سحر

بجدة

كلمـــة عن القـــرآن(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنـــا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد فان القرآن الكريم : هو كلام الحكيم العليم رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على عبده ورسوله وأفضل خلقه ، وسيد أنبيائه ، وخـــاتم المرسلين . سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعـــين أجمعين • علما وعرفانا ، وبصائر وتبيانا ، ورحمة وفرقانا ، وهدى ونـــورا ، وبلاغا للناس وتذكيرا ، وانذارا وتبشيرا ، وذكرا مباركا حكيما ، وعـــروة وثقى وصراطا مستقيما ، وعدلا وصدقا وقصصا حقا ، قرآنا عربيا مبينـــا في أعلى طبقات البلاغة ، معجزا للثقلين كافة في لفظه ، ونظمه وأسلوبه « قـــل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثـــله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ومعجزة باهرة ، على وجه الدهر باقية ، دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته العامة الخالدة للثقلـــين كافة الى يوم الدين •

له أبهى طلاوة وفيه أعظم حلاوة كلما زدته تلاوة فيه من الاسرار الالهية عجائب ، ومن أنواع العلوم والمعارف غرائب ، ومن أحسن القصص مواعظ ، ومن أصدق الأمثال بصائر « يهـــدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنـــين الذين

---

١) القيت هذه الكلمة في مسابقة القران الكريم عام ١٣٩٩هـ بمكة وأذيعت من الاذاعة السعودية

يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » ، « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » لم يفرط فيه الله تعالى من شيء ، آيات بينات وحكم بالغات ورحمة للمؤمنين وشفاء لما في الصدور وضحت به المحجة وقامت به الحجة على الثقلين عامة و « يهدى الله لنوره من يشاء » •

لقد ربط الله سبحانه وتعالى عزنا بعز القرآن الكريم ، وشرفنا بشرفه وبقاءنا ببقائه ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه انا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله •

وهذا القول من عمر رضي الله عنه هو ثمرة ما تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء يوما بنسخة من التوراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال أبوبكر : ثكلتك الثواكل ما ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بالله من غضب الله ورسوله ، رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتى لاتبعنى • وتنبه لهذا أعداء الاسلام بحذر ويقظة اذ وقف أحدهم ممسكا بيده القرآن في مجلس رسمى عام قائلا لاصحابه : انكم لن تنصروا ما دام هذا بين المسلمين •

ولذلك جاء الأمر بتعاهد القرآن خوف النسيان بقوله صلى الله عليه وسلم : وتعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل من عقلها ، والمعنى : أن المؤمن ينبغى له المحافظة على تلاوة القرآن الكريم خشية أن يتفلت منه وينساه •

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت ؛ متفق عليه .

وروى الدارمي باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع قالوا : هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال فقال : يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا اله الا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول وجاء التحذير عن الاعراض عن القرآن وتعريضه للنسيان فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الذى ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » رواه الترمذى وصححه ؛ وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت عليّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد » .

آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن ارم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبه لذى شقاق وما تبغين من حكم
ما حوربت قط الا عاد من حرب أعدى الأعادى اليها ملقي السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجانى عن الحرم
لها معان كموج البحر في مدد وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرّت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

ان تتلهـا خيفـة من حـر نار لظى أطفـأت حـر لظى من وردها الشبم

كأنهـا الحوض تبيض الوجـوه به من العصـاة وقـد جاؤه كالحـمم

وكالصـراط وكالمـيزان معـدلة فالقسـط من غيرها في الناس لم يقم

لا تعجبن لحسـود راح ينـكرهـا تجاهـلا وهو عين الحـاذق الفهـم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكـر الفم طعم المـاء من سـقم

وجوب تعظيم القـرآن

قال الله تعالى : « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون » لأنه تنزيل من رب العالمين على أفضل الاولين والآخرين وأكرمهم على الله والنازل به الروح الأمين ذو المكانة والسيادة والرتبة والقيادة يتنزل معه موكب حافل من الملائكة الكرام يحفون بما نزل به من كلام رب الأنام اجلالا واعظاما وتهيبا واكراما وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن سورة الأنعام وحدها لما نزلت نزل معها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد وفي رواية عنه صـلى الله عليه وسلم أنه قال : (نزلت علي سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس) ومن أجل حرف أي طرف جملة وهو قوله تعـالى « غير اولى الضرر » نزل جبريل ومعه موكب من الملائكة يلقى ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم كما روى البخارى عن زيد بن ثابت الحديث فحق على كل مسلم أن يجل هذا القرآن ويعظمه ، وتعظيم القرآن يتطلب عدة أمور : منها تعظيم المصحف لما فيه من الصحف التى رسمته واحتوت عليه وجمعته روى ابن ابى داود في كتاب المصاحف عن ابراهيـم التيمى قال : كان ــ أي في زمن الصحابة يقال عظموا المصاحف والمصحـف يعظم ولو بليت أو تشققت صفحة وكانوا يقبلون المصحف ويتمسحون بـه ، روى الدارمى باسناد صحيح أن عكرمة بن أبى جهل كان يضع المصحف على وجهه ويقول : كتاب ربى كتاب ربى ، وجاء أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يأخذ المصحف كل غداة ويقبله ويقول : عهد ربى ومنشور ربى عز وجـل وكان عثمان رضي الله عنه يقبل المصحف ويمسحه على وجهه وكانوا يستحبون توريث المصحف وفي ذلك نوع من التعظيم للمصحف والتكريم له لأن شأن

العاقل أن يورث ما هو عزيز عليه كريم لديه محبوب عنده يورثه لمن يحبه ولأجل أن يجرى عليه أجر قارئه بعده روى ابن ماجه باسناد حسن والبيهقى وغيرهما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته) وكانوا يسألون الله تعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبهم ونور أبصارهم كما علمهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن غيث القرآن اذا نزل أرض القلوب حيي القلب وأخصب وأعشب وانصبغ بصبغة خضرة نضرة وسرى ذلك في الجوارح وانتشر في الجوانح واستنار البصر بنور القرآن فرأى الحقائق بالعيان قال الله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » الآية ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك او علمته أحدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همي الا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكانه فرحا ، قالوا يا رسول الله ينبغى لنا أن نتعلم هذه الكلمات فقال أجل ينبغى لمن سمعهن ان يتعلمهن) قال في الترغيب رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان والحاكم .

الاستعاذة حكمها وحكمتها

(١)

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وقال « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » •

الاستعاذة في كلام العرب الاستجارة والتحيز الى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه • يقال عذت بفلان واستعذت به أي لجأت اليه وهو عياذى أي ملجئى والعوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به فالعياذ لدفع الشر واللواذ لطلب الخير كما قال المتنبى :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يميضون عظما أنت جابره

وهى الالتجاء الى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر باستدعاء عصمة الله سبحانه من الشيطان ، فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجنابه من الشيطان الرجيم أن يضرنى في دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان الا الله •

والاستعاذة تارة تقع من شيء لم يكن ولم يحصل بعد وتارة تقع من شيء موجود له شر مستقبل • فالاول ــ هو الاستعاذة ــ من شيء لم يكن ولم

يحصل كقول الانسان اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن والثانى وهو الاستعاذة من شيء موجود هو كقول الانسان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقد أمر الله تعالى في القرآن بالاستعاذة به من الشيطان العدو المبين للانسان فقال (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزعنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) (الاعراف) .

وقال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين » . وقال : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .

ويظهر للقارىء في هذه الآيات مقارنة واضحة بين العدو الانسي والعدو الشيطانى فالعدو الانسي أمر الله تعالى بمصانعته والاحسان اليه مرة بقوله خذ العفو وأمر بالعرف .

واخرى بقوله ادفع بالتى هى أحسن فأشار الى مداراته بابداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى .

اما العدو الشيطانى فأمر بالاستعاذة منه لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير الطبع ولا يكفه الا الذى خلقه وتشمل الاستعاذة بالله شياطين الانس والجن وشر النفس كما قال تعالى (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) فيدخل في ذلك وسوسة نفس الانسان له ووسوسة غيره له . نسأ الله ان يحفظنا من شر عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر وشر كل ذى شر .

الاستعـــاذة
حــكمها ـ وحــكمتها

(٢)

أجمع الناس على مشروعية الاستعاذة لقراءة القرآن قال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وصورتها : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والشيطان مشتق من شطن اذا بعد عن الخير سمى بـــذلك لبعده عن الصلاح والخـير ، والرجيم : المرجوم لأنـــه يرجم بالنجـــوم عند استراقه للسمع كما قال تعالى : « وجعلناها رجوما للشياطين » يعنى الكواكب وقيل رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة وقيل أي يرجم غيره بالاغواء وقـــد صح ابتداء القراء جيلا بعد جيل بالتعوذ قبل القراءة وحكمة ذلك من وجوه .

الاول : أن القرآن شفاء لما في الصدور ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والارادات الفاسدة فهو دواء لما أثره فيها الشيطان فأمر القارىء أن يطرد مادة الداء فيخلو منه القلب ليصادف الدواء محلا خاليا فيؤثر فيه كما قيل :

أتـــانى هواهـــا قبل أن أعـــرف الهـــوى

فصـــادف قلبـــا خاليـــا فتمكنـــا

فتكون الاستعاذة حينئذ لأجل حصول فائدة القرآن .

الثانى : أن القرآن مادة الهدى والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات

والشيطان نار يحرق النبات أولا فاولا فكلما أحس بنبات الخير في القلب سعى في احراقه وافساده فأمر أن يستعيذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما حصله بالقرآن فتكون الاستعاذة حينئذ لأجل بقاء فائدة القرآن وحفظها وثباتها .

الثالث : أن الملائكة تدنو للقراءة وتسمعها كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال النبى صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة والشيطان ضد الملك وعدوه فيناسب أن يطلب القارىء بُعد عدوه عنه حتى تحضره الملائكة فهذه وليمة تحضرها الملائكة لا الشياطين.

الرابع : أن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجله حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه فلا يكمل انتفاع القارىء فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله منه .

الخامس : أن الشيطان أحرص ما يكون على الانسان عندما يعزم على الخير ويدخل فيه وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب الى الله كان اعتراض الشيطان له أكثر ولذا قال مجاهد (ما من رفقة تخرج الى مكة الا جهز معهم ابليس مثل عددهم) فأمر سبحانه أن يحارب عدوه الذى يقطع عليه الطريق ويستعيذ بالله منه أولا ثم يأخذ في السير كما أن المسافر اذا عرض له قاطع في طريق اشتغل بدفعه ثم سار .

هذه فائدة الاستعاذة لأجل قراءة القرآن وهى تشمل التعوذ من جميع المنهيات والمحظورات من عقائد فاسدة ومذاهب باطلة مما ورد النهى عنه في الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

الاستعاذة حكمهـــا وحكمتهـــا

(٣)

تسلط الشيطان على النوع الانسانى تسلط كبير وتربصه بهم لاغوائهم واضلالهم هى مهمته وشغله الشاغل الذى توعدهم به اذ قال كما حكى اللـــه تعالى عنه « فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين » ولذلك فهو يغتنم من الانسان كل فرصة ينتهزها ويترصده في كل دائرة ليدخل منها ويبحث عن كل باب يوصله الى المراد فتارة من باب الحـــرام بالمعاصي والشهـــوات والهوى وسوء الظن والغضب والحسد والحرص والعجلة والنساء ، فان لم يفلح دخل من باب الحلال بالشبهة ورؤية الطاعة واحتقار اهل المعاصي وبغض الفساق لا لفسقهم ولكن لشخصهم وتعليق الأمل على العمل وهذا الباب يدخل منه على العباد والزهاد ، وقد اخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : ان الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من الأذى ثم ليأكلهـــا ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليلعق أصابعه فانه لا يدرى في أي طعامه بركة رواه مسلم ، ولذلك أرشدنا الله تعالى في كتابه العزيز الى الاستعاذة مـــن الشيطان بأشمل وأعم وجه فقال : « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون » فتضمنت الآية الأمر بالاستعاذة من نـــوعي

شرهم الأول اصابتهم له بالهمز ، والثانى قربهم ودنوهم منه كيلا يمسوه ولا يقربوه ، وروى الامام أحمد في المسند بسنده كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع بسم اللهأعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » وكان عبدالله بن عمرو «يعلمها من بلغ من ولده ان يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل ان يحفظها كتبهاله فعلقها فيعنقه»رواه ابو داود والترمذى وقال حسن ، وروى ابن السنى ان خالد بن الوليد أصابه أرق فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

ومعنى همزات الشياطين دفعهم الوسواس في النفوس والاغواء الى القلب وأصل الهمز الدفع وهو هنا دفع خاص بهذا المعنى ، ومعنى يحضرون يقربون أي أعوذ بك ان يمسونى ويقربونى ، لذلك نقول لما كانت هذه الوسوسة كبيرة وواسعة كانت الاستعاذة كاملة وواسعة من مسه بل وقربه ودنوه فاجتهد العلماء في تحقيق اللفظ الذى يعطى هذا الشمول والعموم أي اختلفوا في كيفية الاستعاذة ، فقال جماعة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو الموافق لظاهر الآية « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » والذى عليه الاستعمال في جميع الأقطار ولزوم أكثر القراء له في سائر الأمصار وقال بعض العلماء أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وهو ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابى سعيد

وفيه أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ، رواه الترمذي وغيره ، وقال بعضهم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هـو السميع العليم وهو مناسب للآية لأن فيها بعد الأمر بالاستعاذة انه سـميع عليم في آية واحدة فناسب ان يلحق بالاستعاذة وصفه بأنه السميع العـليم في جملة مستقلة مؤكدة وقال بعضهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقال بعضهم اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلـك ورواه أحمد في المسند ، وكيفما استعاذ فهو حسن لأن المنقول الثابت هـو مطلق الأمر بالاستعاذة من الشيطان لكن الاقتصار على اللفظ الذى يؤيـده القرآن باللفظ أيضا هو الاولى وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قـال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم •

الاستعاذة حكمهـا وحكمتهـا

(٤)

تشرع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في مواطن :

الأوّل : عند قراءة القرآن كما قال تعالى : « واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

الثانى : عند الغضب كما ثبت في الحديث أن رجلين اختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما حتى احمر وجهه فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال : أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال وهل بى من جنون ، متفق عليه فالغضب سبب الشرّ لذا شرعت الاستعاذة عنده .

الثالث : عند الخلاء اجماعا كما كان صلى الله عليه وسلم يفعـل ذلك فقد ثبت في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال كان النبى صلى الله عليـه وسلم اذا دخل الخلاء قال : اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث متفق عليـه .

وروى ابن أبى شيبة بسنده كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء قال بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث .

قال الامام أحمد في رواية أبى طالب وما دخلت قط ولم أقله الا أصابنى ما أكـــره فيه •

والخبث جمع خبيث وهو الذكر من الشياطين •

والخبائث جمع خبيثة وهى الانثى منهم ، فهو يستعيذ من ذكـــران الشياطين واناثهم •

وعن أبى أمامة قال لا يعجز أحدكم اذا دخل مرفقه أن يقول اللهم انى أعوذ بك من الرجس النجس والخبيث المخبث الشيطان الرجيم رواه ابن ماجه باسناد ضعيف •

وأنت ترى من هذه الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يواظب عليها عند دخوله الخلاء مع أنه عليه السلام كان معصوما من الشياطين ومردة الجن ومن كل طارق شر ولكن استعاذته ومحافظته على ذلك لأمرين :

الاول : لزوم الخضوع لربه والرجوع اليه واظهار الافتقار الى حفظـــه وعصمتـــه •

الثانى : التشريع لتعليم الأمة هذه الآداب •

الرابع : من المواطن التى تشرع عندها الاستعاذة هى الوسوسة المتسلسلة خصوصا في العقائد ، وقد ثبت في الحديث الصحيح مرفوعا ـ يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته •

والتفكر في خلق الله ونعمه وآلائه توحيد والتفكر في ذات الله العلى الكريم الحاد .

والشيطان يغتنم أبواب الخير عند المؤمنين الصالحين ليدخل فيها ما يريد من الشر فقد يجر الانسان من باب التفكر في النعم والصنع الى التفكر في الذات فيصل به الشك والتردد والسؤال الى أن يقول من خلق الله ، فاذا ابتلى العبد بمثل هذا الحديث النفسي ولازمه في كل شؤونه فان ذلك وسواس، عليه ان يعالجه والعلاج الذى وصفه صلى الله عليه وسلم يبدأ بالاستعاذة اذ قال فليستعذ بالله والانسان اذا التجأ الى الملك الديان في دفع وساوس الشيطان فانه جل شأنه يمنع عبده الملتجىء اليه من عدوه المتسلط عليه ان كان التجاؤه صحيحا صادقا .

سجـدة التـلاوة

سجدة التلاوة هي الهوي للسجود في مواطن مخصوصة من القـرآن الكريم نص عليها الشارع وهي مشروعة خارج الصلاة وداخلها ، ولما كـان القرآن كله بركة ورحمة وقارئه مأجورا وسامعه يدخل في تلك الرحمة لتدبره واشتراكه في الخير سن الشارع الحكيم للسامع ان يسجد للتلاوة اقتـداء بالقارىء فهو له بمنزلة الامام كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي اللـه عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا القرآن فاذا مـر بالسجدة كبر وسجد وسجدنا معه رواه ابو داود بسند فيه لين وقد استفـاد العلماء من قوله في الحديث (كبر) أن سجود التلاوة يحتوى على تكبـيرة افتتاح وهذا متفق عليه ثم اختلفوا في تكبيرة النقل وتكبيرة الرفـع وهل يتشهد ويسلم قياسا على التحليل والتحريم أم ينصرف كل هذا مختلف فيـه بين الفقهاء وحكمها انها سنة وليست بواجب محتم ودليل ذلك قول عمـر رضي الله عنه : وسجدات التلاوة المسنونات بعضها آكد من بعض فما وقـع فيه أمر أو تحضيض فهي آكد وتسمى عزائم السجود وما لم يرد فيه أمر ولا حث فهي ليست من عزائم السجود كسجدة (ص) فانها جاءت اخبارا عـن سجود داود فنحن نسجدها شكرا كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال صلى الله عليه وسلم : ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها رواه البخارى •

وقد اختلف العلماء في ثبوت السجود في المفصل فعن الجمهور يشـرع السجود في المفصل لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم رواه البخارى وذهب الامام مالك الى عـدم

السجود في المفصل واحتج بعمل أهل المدينة ومنهم زيد بن ثابت رضي الله عنه الذى قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد متفق عليه لكن قول ابن عباس الذى اعتمد عليه الجمهور مثبت وهو مقدم على النافي وهو حديث زيد • ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم سجد تارة وترك السجود أخرى لبيان السنية ودفع توهم الفريضة أو لمانع عارض السجود ككونه غير متوضىء ونذكر هنا مواضع السجود في القرآن مع مذاهب العلماء فيها بايجاز يا أيها الناس انما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا اثم عليه رواه البخارى • وفيه : (ان الله تعالى لم يفرض السجود الا أن نشاء) وهو في الموطأ • وهذا يفيدنا تركه صلى الله عليه وسلم للسجود في بعض الاحوال وكذلك عمل الصحابة فانهم كانوا يمرون بآية السجدة فلا يسجدونها ويقرر الفاروق انه لا اثم على من ترك السجود بل صرح بعدم الفرضية ، فقال : الله تعالى لم يفرض السجود علينا الا أن نشاء • ومعنى قوله الا أن نشاء يعنى الا ان نريد لأن من شرع في سجود التلاوة وجب عليه اتمامه وهذا عند من يقول بوجوب اتمام التطوع فيه وهو مذهب الامام مالك والامام ابي حنيفة •

وسجدة التلاوة لها فضل عظيم ولذلك امتازت بعض سور القرآن بخصائص تدل على تفضيلها بها فمن ذلك سورة الحج التى احتوت على سجدتين من سجدات التلاوة واحدة في أولها متفق عليها والثانى في آخرها وهى مختلف فيها فعن خالد بن معدان رضي الله عنه قال فضلت سورة الحج سجدتين رواه ابو داود في المراسيل ورواه أحمد والترمذى موصولا من حديث عقبة بن عامر وزاد (فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما) وسنده ضعيف • وهذا الحديث يؤكد مشروعية السجود فيها •

قال أحمد مواضع سجود التلاوة خمسة عشر وهى :

١ ــ في سورة الاعراف الآية ٢٠٩ « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

٢ ــ في سورة الرعد الآية ١٥ « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » .

٣ ــ في سورة النحل الآية ٤٩ « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » .

٤ ــ في سورة الاسراء الآية ١٠٧ « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان ويبكون ويزيدهم خشوعا » .

٥ ــ في سورة مريم الآية ١٥٠ « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » .

٦ ــ في سورة الحج الآية ١٨ « الم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » .

٧ ــ سورة الحج الآية ٧٧ « يا آيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

٨ ــ سورة الفرقان الآية ٦٠ « واذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » .

١ ــ في سورة الاعراف الآية ٢٠٩ « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

٢ ــ في سورة الرعد الآية ١٥ « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » .

٣ ــ في سورة النحل الآية ٤٩ « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » .

٤ ــ في سورة الاسراء الآية ١٠٧ « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يُتْلَى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان ويبكون ويزيدهم خشوعا » .

٥ ــ في سورة مريم الآية ١٥٠ « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » .

٦ ــ في سورة الحج الآية ١٨ « الم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » .

٧ ــ سورة الحج الآية ٧٧ « يا آيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

٨ ــ سورة الفرقان الآية ٦٠ « واذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » .

وقالت الحنفية ان مواضع السجود اربعة عشر باسقاط ثانية الحج وقالوا انها عزيمة ٠ وقال الشافعي أربعة عشر أيضا باسقاط سجدة ص وقال انها سجدة شكر ٠ وقال مالك ان مواضع السجود أحد عشر ليس في المفصل فيها شيء واسقاط ثانية الحج هذا وقد ورد في السنة بيان الدعاء الذى يقال في سجود التلاوة ٠ ففى حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجود التلاوة « اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع عنى عنها وزرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود » ٠

مكانة السنة وفضلها

أمر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله بعينها فقال : « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله » ، وفي هذه الآية نداء صريح وواضح بشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه وارتفاع مرتبته بما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه . قال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين ، وقال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » أي ائتسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدوا به فهو المثل الأعلى للكمال الانسانى فلا بد من معرفة بدايته صلى الله عليه وسلم وسيرته ومكارمه وما أنعم الله به عليه في حياته من حيث هو فرد ونبى ورب أسرة واب واخ وداع الى الله وصراط مستقيم ونور وبرهان من ربه وقائد وحاكم في حربه وسلمه وعباداته ومعاملاته من حيث هو قدوة ونبراس ومشرع للعالمين في كل زمان ومكان وخاتم النبيين ولم يحدد الحق تبارك وتعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بحد لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أئتمنه على رسالته ولم يقل ليطاع في شيء دون شيء فانه لا يأمر بما لا يرضى الله عز وجل فذلك مستحيل . والطاعة هنا عامة ولا يعقل ان يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا فنطالبه بنص من القرآن على هذا الأمر لأننا آمنا بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الصادق المصدوق وانه لا يعقل أن يأمر الا بما فيه رضا الله تبارك وتعالى ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وهذه الآية عامة ، وان كانت هى في شأن الفيء وتقسيمه فتكون هذه الآية نصا صريحا في أن كل ما اتانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه الينا من الأوامر وغيرها سواء كانت مذكورة في الكتاب أي القرآن المجيد أو السنة أي الأحاديث النبوية الثابتة المحكمة فانه واجب علينا امتثاله والعمل به وكذا كل ما نهانا عنه من المنهيات والمنكرات المبينة في الكتاب والسنة فانه واجب علينا الاجتناب منه والانتهاء عنه .

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

فهذا أمر من الله تعالى بطاعة رسوله في حياته فيما أمر ونهى وبعد وفاته في اتباع سنته وذلك أن الله عم بالأمر بطاعته ولم يخصص في ذلك في حال دون حال فهو على العموم حتى يخص .

ويقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

فقد أمر المؤمنين بالاستجابة لله ولرسوله والأمر للوجوب ، والاستجابة لهما هي قبول ما أمرا به ونهيا عنه في الكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما ، ويقول الله سبحانه وتعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فالله تعالى يقسم بنفسه الكريمة المقدسة أن لا يؤمن أحد حتى يحكّم

الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الـذى يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال ـ لا يجدوا في أنفسهم حرجـا مما قضيت ويسلموا تسليما ، بالقلب مع العقل والقبول مع الرضا والموافقة مع الاقتناع ، قال ابن كثير أي اذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث «والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضـلالا مبينا » والمعنى : أنه اذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأى ولا قول مع حكم الله تعالى .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا وهى تصرح بوجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان طاعته طاعة لله ومخالفته مخالفة لله .

ولكن هناك أمر مهم يبنى على هذه الأدلة وهو حجية السنة وانها أصل عظيم للدين الاسلامى الحنيف وأنها قد تستقل بتشريع الأحكام وبيان المسائل وايضاح المشاكل التى لم يتعرض لها القرآن الكريم وأمثلة ذلك مفصلة في مواضـعها .

فالقرآن هو الأصل الأول للدين الداعى الى السنة والسنة هى الاصل الثانى في الدين وهى المبينة للقرآن المفصلة لاجماله ولا غرابة في هذه المزايا التى جعلها الله للسنة النبوية اذا علمت أن هذه السنة هى اقوال وأفعال وتقريرات النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم وان هذا النبي قد تكفل الله بعصـمته وامداده بالوحي وعصمته عن الخطأ والهوى في كل ما يأتي به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل .

قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » النجم .

ذكـــر الله

ان ذكر الله تعالى من أفضل العبادات وأعظم الطاعات وأجـل القربات وأصدق مظاهر العبودية لبارىء الأرض والسموات سواء كان الذكر سرا أو جهرا على انفراد أو في جماعة في المساجد أو في غيرها عقب الصلوات أو في سائر الأوقات ، وقد جاء في التنويه بفضله وعظيم أجره والحث على ملازمته والتحذير من الغفلة عنه في أي أمر أو حال آيات كثيرة وأحاديث وآثـار لا تكاد تحصى ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثـيرا وسبحوه بكرة وأصيلا » وقال تعالى « ولذكر الله أكبر » أي من كل عبادة سواه . وقال تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فيشفيها من القـلق وسـائر الأمـراض المعنويـة كمـا يشـفى الدواء أمـراض الأجسـاد الحســية ، وقـال تعـالى : « يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تلهــكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » وقال تعالى : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » وعن أنس رضي الله عنه (الـذكر شفـاء القلوب) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سقالا وان سقال أمتي ذكر الله تعالى وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولو أن تضـرب بسيفك حتى يتقطع » (رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى) وعن أبى سعيـد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة ، قال : « الذاكرون الله كثيرا » أي عبادتهم بالذكر قال قلت يا رسول الله ومن الغازى في سبيل الله ؟ قال : لو ضـرب

بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه ؛ (رواه أحمد والترمذى) وفي الحديث القدسي قال الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فان ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرنى في ملاء ذكرته في ملاء خير منه » وقال صلى الله عليه وسلم مثل البيت الذى يذكر الله تعالى فيه والبيت الذى لا يذكر الله تعالى فيه مثل الحى والميت ومثل الشجرة الخضراء بين الشجر اليابس ، وقال صلى الله عليه وسلم للذى قال يا رسول الله قد كثرت على شرائع الاسلام فمرنى بشيء اتمسك به فقال له : (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) وفي الحديث « أهل ذكرى أهل مجالستى » وعن ابن مسعود « غراس الجنة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله » وهو من أجل الذكر الوارد ، وقال رجل للحسن البصرى يا أبا سعيد أشكو اليك قسوة قلبى فقال أدبه بذكر الله ، وقال : الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى عندما حرم الله عز وجل » وأفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان جميعا بحيث تكون صورة الذكر الجارى حاضرة في القلب ، والغفلة عن ذكر الله عظيمة الخطر بالغة الضرر قال تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وهى من خصال المنافقين ، كما قال تعالى في ذمهم (يرآؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وفي الحديث « من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة أي حسرة أو تبعة وجريرة والذكر كما يكون سرا يكون جهرا ولكل منها ذلك الفضل الذى بيناه ، والفضل في الجهر أوفر وهو الأصل في اقامة شعائر الاسلام وتعاليمه وسننه كما في الأذان والاقامة وتكبيرة الاحرام في الصلاة واقامة

مناسك الحج بالتلبية والتكبير وضجيج الحجيج بالضجيج وقراءة القرآن جهرا في صلاة الغداة وأولى العشاءين والجهر بالتسبيح والتهليل في الخروج يومى العيدين وقد كان ذلك في العهد النبوى وعهد الصحابة والتابعين ، والجهر بالذكر وسيلة لتكثير الذاكرين لميل النفوس الى الاقتداء ، غير أنه ينبغي عدم المبالغة فيه كما يشير اليه قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » فالتوسط فيه هو العدل وهو سبيل الاستمدادات عليه وللجهر بالذكر فضل على الاسرار به كما يشير اليه حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذكرنى عبد في نفسه الا ذكرته في نفسي ولا يذكرنى في ملأ الا ذكرته في الملأ الأعلى (رواه الطبرانى) وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال الله « يا ابن آدم اذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا واذا ذكرتنى في ملاء ذكرتك في ملاء خير من الذين ذكرتنى فيهم » (أخرجه البزار بسند صحيح عنه) والذكر في الملأ هو الذكر جهرا وحسب الذاكر جهرا هذه المنقبة العظيمة والفضل المزيد وكما يجوز الذكر على الانفراد وفي الخلوة يجوز في الاجتماع مع الناس ، فعن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا قال : آالله ما أجلسكم الا ذلك قال أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة ، (رواه مسلم والترمذى والنسائى) .

وعن ابى هريرة رضي الله عنه وأبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنهما شهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده (رواه مسلم) وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا أتوا

عليهم حفوهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة فقالوا ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم (رواه البزار) فدلت هذه الأحاديث على فضيلة الذكر جماعة سواء كانوا في المساجد أو في غيرها وانهم هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم وللاجتماع على ذكر الله من القوة والتنشيط وحفز الهمم والبركة ما ليس للذكر على انفراد كما هو ظاهر . والله أعلم .

ذكـــر الله

حـكمة الـذكر

الانسان مركب من نوعين مختلفين وعنصرين متباينين مادى أرضي وهو الجسم ومعنوى سماوى وهو الروح ومن رأفته سبحانه بالجنس البشرى أن هيأ لكلا النوعين غذاءه وأعد له وسائل قوته ليحافظ على نمائه وقدرتـه وانطلاقـه .

فجعل للجسم غذاء ماديا من نوعه لينمو ويشتد ويقوى ليسخر فيمـا يعود على الانسان نفعه في هذه الحياة .

وجعل للروح غذاءها من نوعها لترتقى في معاريج الكمال وتحلق في أجواء الصـفاء وتستمد قوة ونماء واشـراقا وطهارة وتصفـو من شوائب الشهوات ورواسب الكدورات وذلك الغذاء هو ذكر الله عز وجل الـذى يغرس اليقظة في الضمائر ويبعث الذكرى في النفوس والسرائر ويقطع مـادة الغفلة ويدفع الهم والقلق ويطمئن القلب .

المـراد بالـذكر

والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق والذكر يطلق ويكون المراد به الاتيان بالألفاظ التى ورد الترغيب في قولهـا والاكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة .

ويطلق الذكر أيضا ويكون المراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله او ندب اليه كتلاو ةالقرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة .
(فتح كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله / ٢٠٩) .

كيفيات الذكر

الذكر يكون باللسان ويكون بالقلب ويكون بالجوارح فالذكر باللسان يكون بالألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه .

والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الامر والنهى حتى يطلع على أحكامها وفي أسرار مخلوقات الله والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرا .

(فتح) .

الذكر الكامل

فاذا انضاف الى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل ، فان انضاف الى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا فان وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من الصلاة او الجهاد أو غيرهما ازداد كمالا ، فان صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ للكمال

الحث على الذكر

العبادات كلها لها قيودها وشرائطها وأوقاتها التى تصح او لا تصح او تكره فيها الا ذكر الله عز وجل فانه مطلوب في كل الاوقات والظروف والملابسات وحتى اتيان الرجل زوجته او دخوله بيت الخلاء .

وفي هذا توسيع عظيم لباب الذكر وتسهيل كبير للراغبين وقطع لاعذار المتكاسلين ورد لحججهم الواهية وسوقهم الى ميدان الذكر بشتى الطرق .

الذكر في القـرآن الـكريم

لذلك كثرت الآيات القرآنيـة التى تحث على كثرة الذكر في سـائر الأحوال دون قيد أو شرط ومن ذلك قوله تعالى(١) : « واذكر ربك كثـيرا وسبح بالعشي والابـكار » وقوله تعالى(٢) ناهيا عن ضـده من الغفلـة والنسيان « ولا تكن من الغافلين » وقوله تعالى(٣) : مبينا أن تاركه خاسر وأنه يتسلط عليه الشيطان وأنه في ضلال مبين وان معيشته بؤس وشقـاء « يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين » « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .

وقوله(٤) ـ مبينا ان الذاكر من المفلحين وأن الذاكر لله يذكره اللـه سبحانه وتعالى وأنه مطمئن القلب « واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقال « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » وقال « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

من ابــواب المغفــرة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ما أعظم فضل الله على عباده وما اوسع بره بهم ورحمته لهم ان نعمه لكثيرة وفيرة نعم يعجز البيان عن حصرها وتتضاءل الطاعات عن شكرها وتفنى لحظات الأيام والليالي دون استغراقها « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم » واذا كان الانسان كله بذاته وكيانه نعمة من نعم الله فما يجري عليه بعد ذلك من الخير فانه هو نعمة من النعمة وفضل من الفضل ومن أجل نعم الله على عباده قبول التوبة عنهم ومغفرته لذنوبهم فالعصيان طبيعة الانسان وكل بني آدم خطاء ولا معصوم الا الانبياء وذلك أن للانسان عقلا يدرك وقد ساقه الله اليه شرعا يهدي ويرشد ولكنه مع هذا قد ابتلي بغرائز جامحة وشهوة عارمة وشيطان يحرض على الفجور ونفس أمارة بالسوء فهو في صراع عنيف بين عقله وشهوته وبين أوامر الله له وبين هواتف النفس وجواذب الهوى ، والحرب الدائرة في هذا المجال سجال فلا بد اذا من اقتراف الذنوب ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ومغفرة الله طوق النجاة يتعلق به العبد لينجو من طوفان الذنوب فلو لم يلق الله الى عباده هذا الطوق الذي به نجاتهم وفيه حياتهم لهلكوا أو ضاعوا ولخسروا خسرانا مبينا يقول الله تعالى حاكيا عن آدم وزوجته عليهما السلام طلبا المغفرة « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وقد استغل ابراهيم

الخليل عليه السلام بتفرد الله بهذه الأمور على أنه لا اله غيره وان كل ما أشرك معه باطل فقال لقومه : « افرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين » فان من تفرد بخلق العبد وهدايته ورزقه واحيائه واماتته في الدنيا وبمغفرة ذنوبه في الآخرة مستحق العبودية والتوحيد واليه الملجأ والملاذ ! ويأبى الله تبارك وتعالى الا أن يتم نعمته على عباده فلم يقف فضله سبحانه عن حدود قبول التوبة بل ان الله عز وجل يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الانسان بغائب يعود وأمل يتحققه يقول النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كأنه على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما كذلك اذا هو بها قائمة فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك ! أخطأ من شدة الفرح وقد تكرر في القرآن الكريم ذكر التوبة والاستغفار وجاءت الأحاديث بالأمر بهما والحث عليهما قال تعالى « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا » وفي الحديث « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ويقول عليه الصلاة والسلام ، والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه كل يوم مائة مرة ، ويقول ابن عمر رضي الله عنهما ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول :

رب اغفر لى وتب علي انك أنت التواب الرحيم والحديث القدسي الذى معنا يدل على أبواب المغفرة وهى ثلاثة : الدعـاء مع الرجاء والاستغفـار والتوحيـد •

الدعاء مع الرجاء الدعاء مأمور به وموعود عليه بالاجابة قال تعالى « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » ويقول صلى الله عليه وسلم (من أعطى الدعاء اعطي الاجابة) لأن الله تعالى يقول « ادعونى استجب لكم » ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى ما دام قد فتح لنا باب الدعاء فستكون الاجابة محققة فما كان الله ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة والدعاء مظهر جليل للعبودية ودليل الخضوع لله العلى وهو جوهر العبادة ولبها ففى الحديث الشريف (الدعاء مخ العبادة) وفي رواية (الـدعاء هو العبـادة) والدعاء سبب مقتض للاجابة مع استكمال شروطه وانتفاء موانعه وقد تتخلف الاجابة لانتفاء بعض شروط الدعاء او وجود بعض موانعه ومن أعظم شروطه حضور القلب ورجاء الاجابة من الله تعالى ففى الحديث (ادعوا الله وأنتـم موقنون بالاجابة وان الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) ولهذا نهى العبد ان يقول في دعائه اللهم اغفر لى ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له كما نهي ان يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الاجابة فان اللـه يحب الملحين عليه في الدعاء ويحب ان يسمع تضرع عبده ومن أدمن قـرع الباب يوشك ان يفتح له يقول صلى الله عليه وسلم (لا تعجزوا عن الدعـاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد) ومن الاسباب التى تقتضى اجابة الدعاء اطـالة

السفر لطاعة كطلب علم او تحصيل رزق او أي مقصد شريف لأن السفر مظنة انكسار النفس وخضوعها لطول الغربة عن الأهل والأوطان ولتحمل المشاق ولحصول التبذل في اللباس والهيئة وكثرة الغبار على الشعر والثياب وهذا يدعو الى التواضع والاستكانة لله ومما يعين على اجابة الدعاء .

وفي الحديث « رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » وكذلك دعوة المظلوم ودعاء الوالدين ففى الحديث الشريف (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعاء الوالدين » ومما يعين على الاجابة رفع اليدين الى السماء علامة الضراعة واستنزال فضل الله ورحمته يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله حيىّ كريم يستحى اذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفرا خائبتين) وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض ابطيه ورفع يديه يوم بدر يستنصر الله على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه وظل يلح على الله في الدعاء حتى جاء نصر الله .

التقوى باب كل خير

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

قال العلماء رضوان الله عليهم : التقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ظاهرا وباطنا ، مع استشعار التعظيم لله ، والهيبة . والخشية والرهبة من الله . وقال بعض المفسرين رحمهم الله في قوله تعالى « اتقوا الله حق تقاته » هو أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

ولن يستطيع العبد ولو كان له ألف ألف من نفس الى نفسه ، وألف ألف عمر الى عمره أن يتقي الله حق تقاته ولو أنفق جميع ذلك في طاعة الله ، ومحا به ، وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده ، ولجلال عظمة الله وعلو كبريائه وارتفاع مجده ، وقد قال أفضل القائمين بحق الله وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم في دعائه ، اعترافا بالعجز عن القيام باحصاء الثناء على الله : « أعوذ بك برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » أمر منه عز وعلا لعباده المؤمنين بتقواه ، وكأنه سبحانه قد جمع في التقوى جميع الخيرات العاجلة والآجلة ، ثم أمر عباده المؤمنين بها ليفوزوا ويظفروا بما جعله فيها من الخير والصلاح ، والسعادة والفلاح ، رحمة بعباده المؤمنين ـ وكان بالمؤمنين رحيما .

« والتقوى » وصية الله رب العالمين للأولين والآخرين قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) فما من خير عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن الا والتقوى سبيل موصل اليه ووسيلة مبلغة له ، وما من شر عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن الا والتقوى حرز حريز ، وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره .

وكم علق الله العظيم في كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة وسعادات جسيمة .

فمن ذلك ـ المعية الالهية الحفظية اللطيفة ، قال الله تعالى : (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) .

ومن ذلك ـ العلم اللدنى قال الله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ومن ذلك ـ الفرقان عند الاشتباه ووقوع الاشكال ، والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم) ومن ذلك النجاة من النار ، قال تعالى : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا) وقال (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) .

ومن ذلك ـ المخرج من الشدائد ، والرزق من حيث لا يحتسب ، واليسر وعظم الأجر ، قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاتهويعظم له أجرا) .

ومن ذلك ـ الوعد بالجنة ، قال الله تعالى : (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) ، وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون) ،

(وأزلفت الجنة للمتقين) ، (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) . (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

ومن ذلك ـ الكرامة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فجعل الكرامة عنده بالتقوى ، لا بالأنسان ولا بالأموال ولا بشيء آخر . وكم وعد الله ورسوله على التقوى ، من خيرات وسعادات ودرجات وحسنات ، وصلاح وفلاح ، وغنائم وأرباح يطول ذكرها ويتعذر حصرها .

وما أحسن ما قيل في المعنى :

من يتق الله فذاك الذى   سيق اليه المتجر الرابح

وقيل أيضا :

من عرف الله فلم تغنه   معرفة الله فذاك الشقى
ما ضرّ ذا الطاعة ما ناله   في طاعة الله وماذا لقى
ما يصنع العبد بعز الغنى   والعز كل العز للمتقى

التقـوى طريق النصـر

أما بعد : فقد قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتـوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) •

فبالوصية بالتقوى جاءت الكتب السماوية السابقة كما جاء بها القرآن الكريم والتقوى يا عباد الله هي ان تجعلوا أنفسكم دائماً في وقايـة الله من غضب الله وعقابه فتكونوا دائما عند أمره تعالى ونهيه فلا يراكم سبحانـه حيث نهاكم ولا يفقدكم حيث أمركم وبذلك تفوزون بخيري الدنيا والآخرة ويقهر الله عدوكم ويمدكم سبحانه بنصره : (وما النصر الا من عنـد الله العزيز الحكيم) من اتقى الله نجا من الشدائد وتيسر له الرزق من جهـة لا تخطر له ببال وفاز بعظم الأجر • قال الله عز وجل : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) وقال سبحانه : (ومن يتق الله يجعـل له من أمره يسرا) وقال (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجـرا) ومن اتقى الله أصلح له عمله وغفر ذنبه قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطـع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) ومن اتقى الله تعالى قبل عمله قال سبحانه (انما يتقبل الله من المتقين) ومن اتقى الله أكرمه سبحانه وأعزه قال جل شأنه (ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) ومن اتقى الله ـــ أحبه جل علاه قال سبحانه (ان الله يحب المتقين) ومن اتقى الله فاز بالبشرى في دنيـاه وأخراه قال تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) •

ومن اتقى الله حفظه من عداه وأنجاه مما يخاف ووقاه ، قال تعالى : (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله وقاه كل شيء » ومن اتقى الله امده بعونه وأيده بنصره قال تعالى : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال سبحانه : (والله ولي المتقين) وقال جل شأنه (والعاقبة للمتقين) لذلك قال داود بن نصر الطائى : ما خرج عبد من ذل المعاصى الى عز التقوى الا أغناه الله بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس . وكل زاد ينفذ ويفنى وكل لباس يتمزق ويبلى سوى تقوى الله وقد قال تبارك وتعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وقال (ولباس التقوى ذلك خير) ومن اتقى الله منحه نصيبين من رحمته وجعل له نورا يمشي به راشدا مهتديا ويفرق به بين الحق وبين الباطل قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) وقال جل وعز : (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) ومن اتقى الله أنجاه من النار عند الورود عليها قال تعالى : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ومن اتقى الله كانت الجنة مثواه وأكرمه الله وأعلاه قال تعالى : (وأزلفت الجنة للمتقين) وقال سبحانه : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) .

أيها المسلمون : ان الأمم تسعى جاهدة لعقد المحالفات العسكرية ليزدادوا قوة الى قوتهم فاسعوا الى امدادكم بقوة الله بالتزام تقواه فهو الغالب الذى يغلب وهو على كل شيء قدير احرصوا على تقوى الله على السلاح بأيديكم أو أشد فانها السلاح الاحد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لقائد جيشه الذى أرسله لفتح فارس سعد بن أبى وقاص : سلام عليك ، أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى

الله أفضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس وكان وعدا مفعولا واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم واسأل الله ذلك لنا ولكم .

روى الترمذى عن أبى أمامة عدى بن عجلان الباهلى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال : « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم » .

فضـــائل صـــلاة الضـــحى

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على صلاة الضحى •

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى الضحى ، وان أوتر قبل أن أرقـــد رواه الشيخان ، وفضائل صلاة الضحى كثيرة نذكر جملة منها :

١ ــ بها يغفر الله تعالى الذنوب ، روى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حافظ على شفعة الضحى ــ أي ركعتى الضحى ــ غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر) •

وروى أبو يعلى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قـــام اذا استقبلته الشمس ــ أي بعد طلوعها وارتفاعها ــ فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام فصلى ركعتين غفرت له خطاياه كما ولدته أمه) •

٢ ــ بها يكون من الأوابين ، روى الطبرانى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب قال : وهى صلاة الأوابين) ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم •

٣ ــ بها ينال أجر المعتمر ، روى أبو داود عن أبى أمامة رضي اللــه

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة ـ أي مفروضة يصليها في المسجد ـ فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح ـ أي صلاة الضحى ـ لا ينصبه الا اياه ـ أي صلاة الضحى ـ فأجره كأجر المعتمر ـ وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) •

٤ ـ بها يكتب من العابدين ومن القانتين ـ روى الطبرانى عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين ، ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة ، وما من يوم ولا ليلة الا لله من يمن به على عبادة وصدقة وما من الله على أحد من عبادة أفضل من أن يلهمه ذكره) •

٥ ـ بها يدخل الجنة من باب الضحى ، روى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان في الجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى) •

٦ ـ بها يكفى الله تعالى العبد ما أهمه في ذلك اليوم ويدخل في ضمان الله تعالى ، روى الترمذى عن ابى الدرداء وأبى ذر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال : (يا ابن آدم لا تعجزنى من اربع ركعات من أول النهار اكفك آخره) • وروى الامام أحمد عن النبى صلى الله عليه

وسلم أنه قال : (قال الله عز وجل : يا ابن آدم صل لى أربع ركعات من أول النهار اكفك آخره) .

٧ ــ بها يؤدى العبد حقوق الصدقات عن أعضائه ، فان العبد متى أصبح وجب عليه أن يتصدق على أعضائه كلها ، وان صلاة الضحى تفي بذلك كله ، روى مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل سلامى ــ أي عضو ــ من أحدكم صدقة ــ فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى) وروى الامام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (في الانسان ستون وثلثمائة مفصل ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : النخامة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فان لم تقدر فركعتا الضحى تجزىء عنك) .

وصلاة الضحى أقلها ركعتان الى ثمان ركعات ، ووقتها اذا حلت الصلاة النافلة الى الزوال .

شرف صلاة الليل

من شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على صلاة الليل فقد جاء أن :

١ ـ صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة ، روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) • وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) وروى الطبرانى عن سمرة رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى من الليل ما قل أو كثر ، ونجعل آخر ذلك وترا •• وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ـ أي تتشقق وتتورم ـ فقلت له : لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا) •

٢ ـ من واظب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب ، روى البيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد فيقول : أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقدمون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب) •

٣ ـ أن قيام الليل قربة الى الله تعالى ومكفر للسيئات ، روى الترمذي عن أبى أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم ، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم) .

٤ ـ أنّ قيام الليل صحة للجسد ، روى الطبرانى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم الى ربكم ، ومكفرة السيئات ومنهاة عن الاثم ، ومطردة للداء عن الجسد).

٥ ـ أن من واظب على قيام الليل دخل غرف الجنة بسلام ، روى الترمذى عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه ـ أي أسرعوا اليه ـ فكنت فيمن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه صلى الله عليه وسلم أن قال : (أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) ، وروى الطبرانى باسناد حسن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من

ظاهرها) فقال أبو مالك الأشعرى : لمن هى يا رسول الله ؟ فقال: (لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام). وروى ابن حبان وغيره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله انى اذا رأيتك طابت نفسي وقرت عينى ، انبئنى عن كل شيء فقال : (كل شيء خلق من الماء) فقلت : اخبرنى بشيء اذا عملته دخلت الجنة فقال صلى الله عليه وسلم (أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام) .

٦ ـ أن قيام الليل فيه شرف المؤمن في الدنيا والآخرة ، روى الطبرانى باسناد حسن عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (يا محمد عش ما شئت فانك ميت . واعمل ما شئت فانك مجزيّ به ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه في الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) وروى البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل) أي قوام الليل .

٧ ـ أن من قام فصلى في الليل لا يخيب ، روى الطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما خيب الله امرأ قام في جوف الليل فافتتح سورة البقرة وآل عمران) .

٨ ـ ان من قام يصلى في الليل فقد تعرض لنفحات القرب الربـانى روى الترمذى عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن) وفي الصحيحين ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : مـن يدعـونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيـه ؟ من يستغفـرنى فأغفـر له ؟) •

٩ ـ أنّ قائم الليل يكتب في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات • روى أبو داود عن أبى هريرة وأبي بن كعب رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا أيقظ الرجـل أهله من الليـل فصليا أو صلى ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين والذاكرات) •

شرف الامة المحمدية

شرف الصدقة والمتصدقين

من الشرف الذى ذخره الله تعالى لهذه الأمة ما أعده الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميزه الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة ، وقد جمعت جملة صالحة من ذلك أذكرها ان شاء الله فيما يأتى :

الصدقة خير ابواب البر

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أبواب البر الصدقة (مجمع) .

والمتصدق في ظل صدقته يوم القيامة يوم لا ظل من حر الشمس كما جاء في الحديث عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل امرىء في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس) . وفي رواية عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ظل المؤمن يوم القيامة صدقته) وكان يزيد لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا .

وكثرة الصدقة تجلب سعة الرزق وتقضي الحاجات وتكون سبب الفوز والنجاح والشفاء ونيل المأمول •

روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الـذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا ، رواه ابن ماجه (ترغيب) ومعنى تجبروا تجب دعواتكم وتغتنـوا •

والمتصدق يرغم بصدقته أنف الشيطان بل يغيظ بها سبعين شيطانـا كلهم يحرصون على عدم أدائها ويزينون له ترك التصدق • فعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يخـرج رجل شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطانا) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة في صحيحه •

وفي رواية عند البيهقى عن أبى ذر موقوفا عليه قال : (ما خرجت صدقة حتى يفك عنها سبعين شيطانا كلهم ينهى عنها) • البيهقى •

وجاء أن الصدقة تكفر فتنة الرجل في أهله وولده •

ومناولة المسكين تقى ميتة السوء ولذلك كان حارثة وقد ذهب بصره اتخذ خيطا في مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده اناءا فيه تمر فكان اذا

جاءه المسكين فسلم أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله وكان أهله يقولون نحن نكفيك فيقول لهم مناولة المسكين تقى ميتة السوء •

والصدقة سد منيع بين المتصدق والسوء ودافعة لعظيم البلاء والشر فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصدقة تسد سبعين بابا من السوء) وليس المقصود بالسبعين التحديد بل المراد التكثير والمعنى أنها تسد السوء بأنواعه ولذلك قد أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار •

فعن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ومعنى ذلك أن الصدقة تكون مثل السد العظيم أمام البلاء فلا يستطيع أن يتعداها •

وفي رواية : (الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص) •

وقد جاء في رواية أخرى : (الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات) والغدوات جمع غدوة الضحوة والمراد الصدقة أول النهار والعاهات جمع عاهة وهى الآفة • والظاهر أن المراد ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية وهو يدل على أن من فوائد الصدقة أن في بذلها السلامة من فتنة المال (انما أموالكم وأولادكم فتنة) لأن من آمن وتصدق فقد أسلم لله روحه وماله الذى هو عديل روحه فصار عبدالله حقا •

والصدقة تمنع ميتة السوء كما جاء ذلك عن أبى هريرة مرفوعا (رواه القضاعى) والمراد بميتة السوء الحالة التى يكون عليها الانسان من الموت • قال التوربشتى وأراد بها ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات

جاءه المسكين فسلم أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله وكان أهله يقولون نحن نكفيك فيقول لهم مناولة المسكين تقى ميتة السوء .

والصدقة سد منيع بين المتصدق والسوء ودافعة لعظيم البلاء والشر فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصدقة تسد سبعين بابا من السوء) وليس المقصود بالسبعين التحديد بل المراد التكثير والمعنى أنها تسد السوء بأنواعه ولذلك قد أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار .

فعن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ومعنى ذلك أن الصدقة تكون مثل السد العظيم أمام البلاء فلا يستطيع أن يتعداها .

وفي رواية : (الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص) .

وقد جاء في رواية أخرى : (الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات) والغدوات جمع غدوة الضحوة والمراد الصدقة أول النهار والعاهات جمع عاهة وهى الآفة . والظاهر أن المراد ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية وهو يدل على أن من فوائد الصدقة أن في بذلها السلامة من فتنة المال (انما أموالكم وأولادكم فتنة) لأن من آمن وتصدق فقد أسلم لله روحه وماله الذى هو عديل روحه فصار عبدالله حقا .

والصدقة تمنع ميتة السوء كما جاء ذلك عن أبى هريرة مرفوعا (رواه القضاعى) والمراد بميتة السوء الحالة التى يكون عليها الانسان من الموت . قال التوربشتى وأراد بها ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الصدقة لتطفىء عن أهلها حر القبور وانما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته . ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفع بالصدقة حر القبر وذلك قبل يوم القيامة وهذا دليل على أن منفعة الصدقة تشمل العوالم الثلاثـة : عالم الدنيا وعالم الآخرة وعالم البرزخ .

الايمان بالله سبحانه وتعالى

في السماء والارض براهين قاطعة وحجج دامغة وأدلة واضحة ساطعة على وجود المبدع ووحدانيته ونفي الشركاء والأنداد عنه يفصح عن ذلك صلاح العمران واحكام الخلق وكيف لا وقد سطع النيران فالشمس سراج والقمر نور والكواكب ذات أبراج أفلا يكون انكار الخالق لها من مكابرة العناد وشديد اللجاج شمس تشرق فتملأ الارض ضياء وتجعل النهار للناس معاشا وتغرب فيكون الليل لباسا والنوم سباتا في وجودها حياة الكائنات ونماء المزروعات ونضج الفاكهات وقتل الجراثيم وابادة ما يؤذى البشر من الحشرات وفي تغاير حرارتها في الأزمنة واختلاف درجاتها وقوتها في الأمكنة تهيئة للجو الصالح للحياة في كل بقعة من بقاع الارض لتلائم الانسان والحيوان والنباتات فيتحقق ما أراده الله للأرض من العمران الذى استخلف في الأرض من أجله الانسان وعلمه البيان وسخر له جميع ما ذرأ على ظهورها من جماد ونبات وحيوان ولقد هدى الله الانسان فقسم العام فصولا ونسق في كل فصل أعمالا وحدد لها أوقاتا ليحفظ لنفسه حياة مستقرة وسعادة مستمرة وان في أشعة الشمس لسرا عظيما وان فيها لدواء ناجعا وبلسما شافيا وترياقا واقيا من الداء العضال والمرض الفتاك وكل ذلك من حكمة الكبير المتعال فسبحان من لا يعجز قدرته معجز ولا يغيب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء قال تعالى في سورة يس : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال (هو الذى جعل الشمس

ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) فالليل والنهار والشمس والقمر آيات بينات وعلامات واضحات على وجود من خلقهن وقدرهن فاحكم تقديرهن ليكون للانسان فيهن تذكرة وعبرة وفي تعاقبهن وتبادلهن تحقيق لمصلحته ومنفعته مما يحمله على القيام بحق الربوبية وواجب العبودية قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وفي النجوم الثاقبة الثابتة والمتحركة وذكرها في محكم التنزيل ما يلفت نظر العاقل ويهدى لب الحائر وينشله من ظلمات الشك الى نور اليقين، فالنجوم مصدر الهداية في البر والبحر والجو قال تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيا تلقوم يعلمون) وفي تقدير سيرها واحكام تنقلها آية كبرى على قدرة الصانع واحاطة علمه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فالنجوم زينة السماء وروعة هذا البناء وفي خلقها حكم كثيرة لا نعلمها وهى آيات لأولى النهى والحجى قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) هذا هو العالم العلوى وآياته فيما يبدو للعيان ويدركه أهل البصائر والعرفان بمقدار ما وهب الله لهم من العلم وصادق الوجدان وقد ادرك قس بن ساعدة الأيادى أحد خطباء العرب في الجاهلية وجود الخالق وسر آياته وواضح حججه وبيناته فقال (ان في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم أو انه وأدرككم ابانه فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه) في الارض آيات للمؤمنين في الانسان والحيوان والنبات والجماد فتركيب جسم الانسان وأداء كل عضو

من أعضائه وظيفته دليل قاطع على وجود المبدع الحكيم ففى كل خفقة من خفقات القلب وانبثاق الدم منه ورجوعه اليه آية بينة على أن الله واحد متصف بكل صفات القدرة والكمال وكلما أمعن الانسان في التفكير وتعمق في التدبير يرجع موقنا بعجزه معترفا بقدرة خالقه قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد أوجد الله اللبن من بين فرث ودم وان في تلقيح النبات عند مماسة بعضه لبعض حتى تحصل الغاية المرجوة من اثماره لعبرة لمن كان له عقل يفكر وبصيرة تتدبر سبحانه وتعالى أوحى الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهيأ لها أن تأكل من كل الثمرات وتسلك سبل ربها ذللا ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه متعددة أوصافه فيه شفاء للناس وسخر البحر لنأكل منه لحما طريا ونستخرج منه حلية نلبسها وتتزين بها ونستوى على الفلك فوقه لتمخر عبابه وتغلب أمواجه وجعل الارض لنا قرارا وفجر خلالها أنهارا فأنبت فيها فواكه ونخلا وأزهارا وكلأ وعشبا متاعا لنا ولأنعامنا وجعل الجبال الشوامخ لها رواسي واوتادا لئلا تميد وتضطرب بنا وجعل بين البحرين حاجزا يحفظ لكل منهما خواصه ومميزاته ليمكن الانتفاع بكل منهما على انفراد وارسل الرياح بشرى بين يدى رحمته وارسل الطير تسبح في الفضاء تغدو خماصا جائعة وتعود بطانا ممتلئة (أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن) وخلق السموات بغير عمد وأمسكها أن تقع على الأرض وجعل في الأرض قطعا متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان مزدوجات وغير صنوان يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل فدلائل وجوده واضحة للعيان وبراهين قدرته ماثلة أمام أعين الانسان اينما حل أو ارتحل وفي كل زمان ومكان •

ففى كل شيء لـه آيـة　　تـدل على أنـه الواحـد

الايمـان والاستقـامة

عن سفيان بن عبدالله الثقفى رضي الله عنه قال : قلت يا رسول اللـه قل لى في الاسلام قـولا لا أسأل عنه أحدا غـيرك قال (قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم •

هذا صحابى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يطلب منه عليه صلوات الله وسلامه ان يعلمه كلاما جامعا لأمر الاسلام كافيا في بيـان مقاصده التى تكفل استقامة الفرد وصلاح المجتمع وانما اراد السائل بذلك أن يظفر بقبس من هدى النبوة يستغنى به عن طلب الهداية والتماس النصيحة من أحد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فكان أن أجابه النبى الكريم لمـا طلب ، فأرسلها حكمة بالغة من جوامع كلمه تنفع السائل وتنفع الانسانيـة كلها ، دستورا عظيما في كلمتين اثنتين هما جمـاع كل فضيلة وأسـاس كل حضارة ورقى قل آمنت بالله ثمّ استقم والايمان بالله كلمة جامعـة لأصول الخير تنبثق عنها جميع القيم الخلقية والنفسية ومنها تنفجر ينابيع الفضـائل والمكارم واذا استقر الايمـان بالله في القلب واكتمل معنـاه في النفس كان تصديقا لكل ما جاء به الرسول الكريم واذعانا لأحكام الشرع المنزلة عليه من الله وتأثرا صادقا بكرم الله وفضله على عباده وثقة تامة بتدبيره في رحمتـه وعدله وحقيقة تثمر ذكر الله والمودة الخالصة لعباده فهى كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها • والاستقامة هى الحركة الايجابية للايمان الصحيح • والقلب هو منبع الاستقامة منه تنبعث فتفيض على الجوارح طاعة واحسانا • فالقلب هو ملك الأعضاء وهى جنوده فـاذا استقام الملك استقامت جنوده وصلحت رعاياه •

وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فانه ترجمان القلب والمعبر عنه ففى الحديث الشريف (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) رواه أحمد في مسنده عن أنس • ويقول صلى الله عليه وسلم اذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تذكره اللسان فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا • رواه الترمذى عن أبى سعيد •

والمعنى الذى توحيه كلمة الاستقامة هو سلوك الطريق السوى الذى لا عوج فيه ولا التواء والتزام المنهج الوسط الذى لا يجنح الى طرفى الافراط والتفريط سواء في العقيدة أو في الخلق أو في العمل ، فالاستقامة في العقيدة اكبار لشأن العقل وافساح المجال أمامه لينظر ويبحث ويقابل الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان حتى يتاح له أن يستعمل طاقته التى أمده الله بها في الاستنتاج والترجيح فالمقلدون في شأن عقيدتهم الذين يلغون عقولهم ويسلكون سبيل غيرهم بدون فكر أو نظر مستقل قوم حائدون عن طريق الصواب والرشاد ولقد نعى القرآن الكريم على من تركوا الحق الواضح وتعلقوا بباطل لا سند له الا ان آباءهم كانوا مقيمين عليه فقال تعالى : (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ومن الضلال في العقيدة اتباع الاوهام والخرافات والانسياق وراء قضايا ظنية لا يؤيدها العلم او التجربة الصحيحة وضاعت من جراء ذلك أموال وكم تفشت في المجتمع أمراض موبقات أصابته بالتصدع والانحلال كذلك من يجادل في الحق بعدما تبين طلبا للغلبة والتفوق على من يجادله فقد حاد عن الصراط المستقيم والجراحات القاتلة التى أصابت المسلمين فهدت كيانهم انما اصابتهم حين غرقوا في الجدال واللدد في الخصومة المذهبية فأضاعوا بذلك وقتهم ومجدهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل) رواه أحمد في

مسنده والترمذى وابن ماجه والحاكم . والاستقامة في الخلق اعتدال في السلوك والتزام للحد الوسط بين طرفين كلاهما رذيلة وشر فلا يكون المسلم جبانا رعديدا ينخلع قلبه لأقل حادث ولا يكون متهورا مندفعا يلقى بنفسه الى التهلكة بل يكون شجاعا في الدفاع عن حقه وعقيدته وماله وعرضه ووطنه ليس من الخلق السوى ان تجعل يدك مغلولة الى عنقك فتبخل على نفسك وأولادك ولا أن تبسطها كل البسط فتبدد ثروتك فتقعد ملوما محسورا (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

والاستقامة في العمل اعتدال لا يعرف التفريط ولا الافراط فمن الناس من يرهق نفسه في العبادة ويتعمق في أدائها فيكون كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ورحم الله عليا كرم الله وجهه فقد قال : (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها ان كلت عميت) ومن الناس من يتحلل من جميع الواجبات ويعيش وجوديا يهيم على وجهه في الحياة لا عاصم له من دين أو خلق . وقد تجد بين الناس من يسلك في عيشه مسلكا خشنا فيحرم على نفسه الطيبات من الرزق ظانا أنه بهذا قد سلك في سلك الزاهدين ثم تجد في مقابل هؤلاء قوما لا يفرقون بين المباح والحرام فيستبيحون لأنفسهم كل شيء . والاسلام بريء من هؤلاء وأولئك فلقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن جماعة من الصحابة تذاكروا عبادته فكأنهم تقالوها أي عدوها قليلة فقال بعضهم انى أقوم الليل ولا أرقد ابدا وقال آخر انى أصوم الدهر ولا أفطر أبدا وقال ثالث انى قد اعتزلت النساء فلن أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكن أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) متفق عليه .

ومن هنا ندرك عظم الاستقامة وخطر قدرها كما ندرك ان لها تبعات ضخمة لا ينهض بها الا اولو العزائم القوية لانها كما ذكرنا يتحرى الدقة في

التزام الصراط المستقيم من غير أن يحيد يمنة أو يسرة وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية على المنبر (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فقال لم يروغوا روغان الثعلب • وقد قال تعالى لنبيه : (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير) فأمره صلى الله عليه وسلم ان يستقيم ومن تاب معه على جادة الحق غير عادلين عنها وان لا يجاوزوا ما أمروا به فذلك هو الطغيان والاستقامة بهذا المعنى أمر دقيق صعب المرتقى لا تطيقه الا النفوس الكبيرة • فعن الحسن رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية شمر النبى صلى الله عليه وسلم فما رؤي ضاحكا وقد نظر اليه بعض الصحابة فوجد الشيب قد بدا في رأسه ولحيته فقال يا رسول الله لقد أسرع اليك الشيب فقال :(شيبتنى هود وأخواتها) وقد قيل ان الذى شيب النبى صلى الله عليه وسلم من سورة هود قوله تعالى (فاستقم كما امرت) فالوصية بالاستقامة وصية جامعة لخصال الدين كلها لأنها تشمل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كذلك ولما كانت نوازع الشر تجذب الانسان دائما الى أسفل فهو عاجز عن كمال الاستقامة ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بالاستغفار عقب الأمر بالاستقامة فقال عز وجل : (فاستقيموا اليه واستغفروه) •

وفي ذلك اشارة الى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها والاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع يجبر ذلك التقصير فهو كقول النبى صلى الله عليه وسلم : (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) رواهأحمد في المسند والترمذى والحاكم فمن رزق الاستقامة فقد رزق الخير كله وقد اختار الله الدعاء بها ليجرى على لسان المؤمن في كل ركعة يصليها في ليله ونهاره حتى يلزم الاستقامة فتصبح خلقا له فهو كلما توجه الى ربه في صلاته هتف به داعيا (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) •

أسس السير الى الحق

لا يستقيم سير العبد الى الله سبحانه وتعالى الا اذا اكتمل عنده أمران الاول العلم التام والثاني العمل الصادق فمن تم له هذان الامران استقام سيره الى الله وحصل له النفوذ وقوى على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته •

واذا كان العلم ضعيفا والعمل ناقصا كثرت القواطع الخارجة والداخلة وكان ذلك هو البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء الا أن يتداركه برحمة الله فتأخذ بيده الى عناية الله وتوفيقه •

ولذلك كان للناس في أصل الايمان مراتب ودرجات فمنهم من تكون له قوة علمية يكشف بها أحوال الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها ولكن قوته العملية ضعيفة يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها فهو من العلماء بعلمه ومن الجهال بتخلفه وعصيانه •

ومنهم من تكون له قوة عملية تامة مع ضعف قوته العلمية فهو صاحب ارادة وعزيمة على السلوك والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والجد والتشمير في العمل ولكن هذا قد تختلط عليه الاحوال وتلتبس عليه الأمور وترد عليه الشبهات فيعمى بصره عن تزييفها ويعجز عن ردها ويقع في الانحرافات القولية والعملية والاعتقادية فهذا مرضه وداؤه وعيبه هو جهله بالعلم •

وقد شبه العلماء العبد في هـذه الدنيا بالمسافر الراحـل ومدة سفره هي عمره الذى كتب له فالعمر هو مدة سفر الانسان في هذه الدار الى ربه ثم جعلت الأيام والليالى مراحل لسفره فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل فـلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى السفر فالكيس الفطن هو الـذى يجعل كل مرحلة نصب عينيه فيهتم بقطعها سالما غانما فاذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه ولا يطول عليه الأمر فيقسو قلبه ويمتد أمله ويحضر بالتسـويف والوعد والتأخير والمطل بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة فيجتهد في قطعها بخير ما يمكنه فاذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل فطوعـت له نفسه الانقياد الى التزود فاذا استقبل المرحلة الاخرى استقبلها كـذلك فلا يزال هذا دأبه حتى يطوى مراحل عمره كلها فيحمد سعيه ويبتهج بما أعـده ليوم فاقته وحاجته فاذا طلع صبح الاخرة وانقشع ظلام الدنيا فحينئذ يحمد سراه وينجاب عنه كراه فما أحسن ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه واستبان فلاحه هذا حال المؤمنين الذين قصدهم الله سبحانه وتعالى وغايتهم السفـر اليه وأما غيرهم فان قصدهم وغايتهم دار الشقاء وهم في الدنيا يسافـرون ويقطعون المراحل اليها وكلما قطعوا فيها مرحلة قربوا من تلك الدار وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته وقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداتـه ومعاداة رسله وأوليائه ودينه والسعي في اطفاء نوره وابطال دعوته واقامـة دعوة غيرها فهم مصحوبون في سفرهم هذا بالشياطين الموكلة بهم يسوقونهم الى منازلهم سوقا كما قال تعالى (ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) أي تزعجهم الى المعاصي والكفر ازعاجا وتسوقهم سوقا والعياذ باللـه .

(ملخص متصرف وزيادة وتغيير وتهذيب من طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٣٣) .

ويصور صلى الله عليه وسلم لنا تشبيه العبد بالمسافر في مثل رائع بديع كما في هذا الحديث • عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطاء ؟ ـ أي فراشا لينا ـ فقال مالى وللدنيا ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها • رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح ترغيب ٤/١٩٩ •

وقد اوصى صلى الله عليه وسلم أصحابه وبين لهم حقيقة الدنيا بهـذا المثل الواضح الجلي تقول السيدة عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب رواه الترمذى ترغيب ٤/١٦٥ • ويقول سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا لتكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب (الترغيب ٤/١٦٦) •

العقل : لا يكفي وحده للهداية

ميز الله الانسان بالعقل وكرمه به وجعله في الأرض خليفة يعمرها بقيام الحياة المستقرة فيها لتسعد البشرية التي خلقها الله للابتداء فتنال على أعمالها الجزاء نعيما مقيما أو عذابا أليما والعقل مهما عظم شأنه وقوى أمره فلن يستطيع أن يدرك الخير والشر والنفع والضر لجهله ما يقوم به من أعمال فربما يسعى لنفسه فيجر على نفسه الهلاك من حيث لا يدرى لان طبائع الأشياء مغيبة عنه لا يعلمها الا موجدها وخالقها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فاقتضت رحمة الله وهو الرؤوف بعباده ألا يترك الانسان سدى تستولى عليه شهواته وتستبد به غرائزه البهيمية فأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ولئلا يقوم لهم برهان بعد أن وضحت السبل وأضاءت الطرق فنفى العذاب عمن لم تدركه رسالة رسول اذ يقول تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) •

فعلاقة الانسان بخالقه وعلاقته بالمخلوقات مع ما تركب فيه من شهوات جامعة من طمع واستلاب واستغلاء وغير ذلك مما هو من دواعي الفتنة والغرور كما قال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) كل هذه المغريات تجعل أعماله غير مأمونة العواقب وتصرفاته غير خالية من الشوائب فهو عن القيام بشكر ربه على نعمائه عاجز وعن تنظيم علاقاته باخوانه في الانسانية وأخذ ما له ودفع ما عليه قاصر وبين ما يأتى وما يذر من الأعمال حائر ولا منفذ له الا هدى السماء فهو له رجاء وهو الدرع الواقية له من مقارعة الخطوب الفرجة له عند اشتداد الكروب فعلى الانسان الايمان بالرسل

واتباع جميع ما دعوا اليه من المبادىء لانها صادرة عن رب العالمين ومن هو بالخلق رؤوف رحيم قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) ومن أعرض عن ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا فهو من الايمان بـراء وأعماله هباء قال تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .

فالرسل سرج يستنير بها البشر في ظلمات الحياة وهم المنقذون من بحار الشرك التى تلاطمت أمواجها واشتدت أعاصيرها فلا عاصم من كل هـذه المخاطر ولا مؤمن من كل هذه المخـاوف الا ارشاداتهم وتوجيهاتهم فهـم الآخذون بيد أتباعهم من الشر الى الخير ومن الجحيم الى النعيم وصدق رب العالمين اذ يقول في حق خاتم المرسلين مخاطبا للمعاندين والمتكبرين (لقـد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فلا بد لصحة العقيدة من الايمان بالرسل الموصوفين بالصدق فيمـا يقولون والامانة فيما يبلغون وعدم كتمان شيء مما بتبليغه يؤمرون ويجب لهم الفطانة والذكاء حتى تكون عندهم القدرة على اقامة الحجج والبراهين لان أضداد هذه الأوصاف غير لائقة بمن يحمل الرسالة ويدعو الناس الى توحيد ربهم وكذلك وجب الايمان بالملائكة وهم عباد الرحمن قال عز من قائل (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحـة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) وهم أجسام لطيفة نورانية تتشكل بأشكال الخير شأنها الطاعة لا يوصفون بذكـورة ولا أنوثة ومن وصـفهم بالذكورة فسق ومن وصفهم بالأنوثة كفر لقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) أنـكر سبحانه وصف الملائكة بالانوثة وتوعد من فعل ذلك بالعذاب يوم القيـامة

وكذلك يجب الايمان بالكتب المنزلة على الرسل من عند الله لأن الرسول أثبت صدق نسبتها الى الله وهى مصدر الهداية ، كما أن الايمان باليوم الآخر واجب لتجزى كل نفس ولينال المحسن جزاء احسانه والمسيء يتردّى في سوء عمله قال تعالى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) وقال تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقال (يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فحلية الانسان التى تميزه عن سائر المخلوقات عقل يهتدى به الى معرفة خالقه ليقوم بواجب شكره وفق ما أنزل الله على رسله مع اذعان بملائكته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فهم جند الله المكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، واعتقاد بيوم الدين يوم توفى كل نفس ما عملت قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) فالانسان خلاصة الكون ومحل التكريم من الله وله سخرت السموات والأرض ومن فيهن فلا يقبل منه بعد ذلك كله أن يصبح غير متصف بغير صفات الكمال فيكون حيوانا أعجم أو وحشا ضاريا ولذلك وصف الله من عطل حواسه وأهمل عقله من بنى الانسان بأنه من الأنعام بل هو أضل سبيلا اذ يقول تعالى : (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) .

عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة) أخرجه أبو داود • ثلاث من قالهن وجبت له الجنة رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وذلك لأنها تتضمن أركان الايمان وأسس الاسلام وليس المراد من قولها مجرد النطق بها فلا قيمة لقول في الاسلام ما لم يعقله القلب ويصدقه العمل فان القول اذا انفصل عن العمل كان نفاقا يجر على الأمة أعظم البلاء (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون) بل المراد من قول هذه الكلمات ان يتحرك بها اللسان وأن ترسخ في النفس وتتركز في الطبع ويتلون بها سلوك المرء في معاملته لربه ولنفسه وللناس أجمعين فمن بلغ هذه المرتبة فقد استكمل شروط الاسلام وذاق طعم الايمان روى عن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا) فالرضى بالله وعن الله أعظم ثمرات الايمان وأقوى دلائل اليقين والرضى بالله ربا يقتضى التسليم له في كل شيء والرضى بقضائه وقدره ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (ان اعظم الجزاء من عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) وفي الحديث القدسي (من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي) من رضي بالله ربا اعتقد أن هذا الوجود الكامل بهذا النظام الماثل وتلك الصنعة العجيبة انما هو بتقدير الله وخلقه وتكوينه وابداعه فالسماء وأبراجها والارض وفجاجها والبحار وأمواجها والكواكب تسبح في

أفلاكها والشمس تجرى لمستقر لها والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحيي الموات ويسقى النبات وتهتز به الارض فتنبت من كل زوج بهيج هذه كلها دلائل صدق على أن الله وحده خالق الكائنات ومبدعها (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال مبين) ومن رضي بالاسلام دينا نزل على حكمه وأطاع أمره فأحل حلاله وحرم حرامه واعتقد أنه الدين العام الخالد الذى سما بالانسانية وأنقذها من ضلالها فنشر السلم ومحق الظلم وجاء بالحق (فماذا بعد الحق الا الضلال) لقد طلع الاسلام على الناس ودعا الاسلام الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فجاء في دعوته سمحا كريما يمقت التعصب الأعمى وينفى الخصومة الحمقاء فهو يفرض على أتباعه أن يصدقوا بكل كتاب منزل ويؤمنوا بكل رسول سبق (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) من رضي بالاسلام دينا أعتقد أنه الدين الذى جاء بالتوحيد الخالص والربانية الصافية التى تصل الانسان بخالقه فتفيض على نفسه برد اليقين وتملأ جوانحه سكينة ورضى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وجاء بالانسانية الفاضلة التى تسمو بالانسان فتجعله سيد نفسه وسيد الكون الذى يعيش فيه (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا فيه) وجاء بالوحدة الشاملة والعالمية التى تنظم بنى البشر جميعا وتجمعهم تحت لواء أخوة رحيمة ومساواة كريمة لا تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) سورة الحجرات فدين هذا شأنه وتلك تعاليمه حقيق بأن يرتضيه الناس دينا ولا يبغون به دليلا (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجب أن يحبه ولا تتم محبته الا بالايمان به ولا يتحقق الايمان به الا بطاعته وامتثال أمره وان يكون هوى المحب تبعا لما جاء به الحبيب صلى الله عليه

وسلم وأن ينزل على حكمه راضية بذلك نفسه منشرحا له صدره مع الاذعان التام والتسليم الخالص (فـلا وربك لا يؤمنون حتى يحـكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يقول صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به • ومن آيات المحبة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرص المؤمن عليها وأن يغالى بقيمتها ولا يعدل بها الدنيا وما فيها بل تكون عنده بمنزلة أعلى وأغلى من ولده ووالده والناس أجمعين فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه مـن ولده ووالده والناس أجمعين) ولئن كان حب الصحابة لرسول الله صـلى الله عليه وسلم يسمو على حبهم لأنفسهم فهو أولى وأحق بأن يسمو عـلى حبهم لاخوانهم وأزواجهم وأفلاذ أكبادهم فقد روى ابن اسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وزوجها يوم أحـد مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقالت لما نعوا لها ما فعل رسول الله ؟ قالوا خيرا هو بحمد الله كمـا تحبين قالت : أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جـلل يا رسول الله تعنى أنها صغيرة سهلة وسئل علي كرم الله وجهـه كيف كان حبكم لرسول الله ؟ قال (كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وأبنائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ) فان من رضي بالله ربـا فانـه لا يعبد الا اياه ومن رضي بالاسلام دينافهو لا يلتمس الهدى فيما سواه من رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا جعله يعيش في ضميره ويحيـا في وجدانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) •

ورضـــوان من الله اكبر

لقد جعل الله تعالى رضـــاه الذى هو اكبر كل مقصد وأشرف ما سعى لاجله العاملون في طاعته ، وجعل سخطه الذى هو الخسران المبين والعـذاب المهين في معصيته واكرم أهل طاعته الذين يطلبون فيها وبها رضاه بأنـواع الاكرام وتفضل عليهم بأجل الافضال :

١ ـــ فوعدهم بحياة طيبة مباركة فقال « من عمل صالحا من ذكـر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

٢ ـــ ووعدهم بالخلافة في الارض والوراثة وبتمكين دينهم الذى هـو عصمة أمرهم وغاية مرادهم ومنه عزهم ومجدهم وكل مجامع الخيرات لهـم وبتبديل خوفهم امنا ، فالدين دينهم هو المهيمن الحاكم لا ترتفع عليه رايـة ولا فوقه صوت غير صوت اهله القائمين به والحياة في ظل هذا الدين الذى هو القائم وهذا المؤمن الذى هو الحـاكم حياة آمنة مطمئنة مستقرة لا قلق فيها ولا ضجر . العامل آمن ، فيتفرغ للعمل بلا نكر ، والعالم آمن فيتفرغ للتعليم بلا منغص ، والطالب آمن ، فيتفرغ للتلقى والاستفادة بلا قاطـع . قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضـي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

٣ ـــ مما اكرم الله به الذين عملوا الصالحات أن وعدهم في الآخـرة بأن يوفيهم اجورهم كاملة وان اعمالهم محفوظة مسجلة ، لا تضـيع حتى النيات الصالحة التى انطوى عليها الضمير من العزم عـلى الخير والهدى وان

لهم الجنات الدائمة التى لا تفنى ابدا والتى زينها الله في ابهى شكل واروع لون وزينهم فيها في أجمل منظر وأبدع مظهر فهى تجرى من تحتها الأنهار وهم يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق لا عمل لهم فيها ولا شغل يتعبهم بل شغلهم وعملهم أنهم متكئون على الارائك فما احسن هذا الثواب قال الله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا) وقال سبحانه وتعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى يحبهم ويحببهم الى المؤمنين •

فهذا العز الذى لا ينقضي والسؤدد الذى لا ينقطع والشرف الذى لا يذهب والمجد الذى لا يبلى في طاعة الله سبحانه وتعالى اكرم به من أطاعه من عباده فحررهم من رق الشهوات وطهر قلوبهم من دنس الالتفات الى الفانيات وأجرى على ايديهم خوارق العادات وعجائب الكرامات من الاخبار بالمغيبات وادرار البركات واجابة الدعوات وقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم من نوره وحشاها من خالص معرفته ومحبته وآنسهم من خلواتهم بذكره فاستوحشوا من خليقته واعد لهم النعيم المقيم في جنات النعيم ووعدهم النظر الى وجهه الكريم ورضاه عنهم اكبر من ذلك وهو الفوز العظيم ولمثل هذا فليعمل العاملون •

الصـــراط المستقيم

الصراط المستقيم هو معرفة الحق وايثاره وتقديمه على غيره والانقياد له والدعوة اليه وجهاد أعدائه بحسب الامكان والمراد بالحق المطلوب معرفته هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما جاء به علما وعملا في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه وتوحيده على ما جاء عنه دون زيادة أو استنباط بالاستلزامات والمفاهيم أو نقصان أو تغيير وفي باب أمره ونهيه ووعده ووعيده وفي أبـواب حقـائق الايمـان ولطائف المعـارف واشراقات الأنوار وجواهر العقائد وكل ذلك مسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون آراء الرجال وأوضاعهم وافكارهم واصطلاحاتهم لان هـذا الميدان لا يحال فيه الا لقول المعصوم الثابت العصمة والمشرع الذى يتلقى علمه من لدن حكيم عليم فلا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقول غيره المخالف لقوله بل والزائد عليه هو من صراط أهل الغضب والضلال .
وقد قال عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم الصراط المستقيم هو الاسلام وقال عبدالله بن مسعود وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهم هو القرآن، وقال سهل بن عبدالله طريق أهل السنة والجماعة وقال بكر بن عبدالله المزنى هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاقوال دالـة ومرشدة ومؤيدة لما قلناه أن ثبوت قدم العبد على الصراط المنصوب عـلى متن جهنم يكون على قدر ثبوت قدمه على هذا الصراط الذى نصبه الله في هذه الدار وكذلك سير العبد على ذاك الصراط يكون على قدر سيره عـلى هذا الصراط فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمـر كالريح ومنهم من يمر كشد الركاب ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم المخدوش المسلِم ومنهم المكردس في جهنم .

فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القذة بالقذة جزاء وفاقا هل تجزون الا ما كنتم تعملون ، ولينظر الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على الصراط المستقيم فانها الكلاليب التى بجانبي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فان كثرت هنا وقويت فكذلك هى هناك (وما ربك بظلام للعبيد) ولا شك ان الطريق الموصل يتضمن خمسة أمور الاستقامة والايصال للمقصود والقرب وسعته للمارين عليه واذا تدبرت وجدت أن الصراط المستقيم تضمن هذه الأمور الخمسة .

اذ وصفه بالاستقامة يتضمن قربه لان الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين وكلما تعوج طال وبعد واستقامته تتضمن ايصاله الى المقصود ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته واضافته للمنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال في قوله (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) يستلزم تعينه طريقا وانه لا طريق غيره قال تعالى : (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) وجامعة لذلك المعنى .

والسالك الذى هداه الله وأرشده لسلوك هذا الصراط المستقيم والتزامه أخذ بيده وسلك به يوم القيامة الى طريق الجنة ، وهذا التلازم بين سلوك الصراط المستقيم في الدنيا وسلوك طريق الجنة في الآخرة واضح جلى لا شك فمن هذه الدار الى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه هدى هناك الى الصراط المستقيم الموصل الى جنته ودار ثوابه وهذا

هو الغاية المقصودة والنتيجة المطلوبة والرابطة بين هذه النتيجة وتلك الغاية أقوى رابطة والتلازم بينهما أعظم تلازم « فهذا صراط ربك فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فلو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة والابواب مغلقة الا من هذا الطريق الواحد فانه متصل بالله موصل الى الله .

البرهـان والسـلطان

ان ديننا دين قويم وطريق واضح يعتمد في دعوته على البرهان ويقوم على الحجة ويتأكد بالدليل انه دين يدعو الى التأمل في ملكوت السـموات والارض وما خلق الله من شيء لننتزع من هذا الكون حكما واسرارا ودلائل وبراهين ننتفع بها في الدنيا والآخرة •

ولقد ذم القرآن قوما نبذوا عقولهم وقلدوا غيرهم في عقائدهم تقليدا أعمى فاعتبرهم أقل مرتبة من الحيوانات وسماهم عميا وبكما وصما (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه أباءنـا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ان دعوة القرآن العظيم ورسالة الاسلام الحنيف قامت على أساس متين وبرهان ساطع وحجة نيرة (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (يا ايها الناس قد جاءكم برهـان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) (أفمن كان على بينة من ربه كمن زيـن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) لكن الناس أمام براهين الاسلام صنفـان متباينان صنف يؤمن ويقتنع ويخضع ويعمل وهؤلاء المؤمنون الصادقـون وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم (فأما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) أما الصنف الآخـر من الناس فانه لا يؤمن ولا يقنع واذا اقتنع لا يخضع وياليته يقف أمام الحـق ساكتا حتى يأخذ الحق طريقه ويسير الى غايته ولكنه يعارض الحق بالقـوة ويجادل في آيات القرآن بالباطل ويجتهد في اطفاء نور الله واضطهاد أهـل الايمان حتى يبقى له باطله رائجا وضلاله غالبا ومثل هذا الصنف من الناس كثير بل هو الاكثر في كل زمان ومكان قال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض

يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) من أجل ذلك كان لا بد للحق من قوة تؤيده وتناصره وكان لزاما على أهل الايمان ان يتخذوا من طرق الدفاع ما يذودون به عن دينهم ويحفظون به عقيدتهم .

ومن أجل ذلك دعا ديننا الى القوة وأمر بالتسلح وحث على الاستعداد للقتال بل اعتبر الانفاق في الحرب انفاقا في سبيل الله وعده مصرفا من مصارف الزكاة قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) .

وكيف تبقى أمة بين أعدائها بغير استعداد ؟ بل كيف تنتشر دعوة بغير قوة تؤيدها وتناصرها (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

ان ديننا دين الحجة ولكنه مع ذلك يأمر بالحيطة ويدعو الى اعداد العدة فالحجة لمن يلتمس الحجة والقوة لمن لا يخافون الا القوة ان دين الاسلام دين واسع الصدر رحب الجناب كريم الى اقصى حدود الكرم سمح الى أبعد حدود المسامحة انه لا يحب اثارة المشاكل ولا يرضى عن اقامة العراقيل في سبيل الحياة الهادئة الكريمة ان الاسلام لا يدعو الى ايقاد نار الحرب ولا يرضى عن ايذاء غير المسلمين ما داموا مسالمين بل لقد ذم الله اليهود بأنهم يسعون في الأرض بالفساد وانهم يعملون على اشعال الحروب وايقاد نيرانها وتوعدهم بأنه سيبطل كيدهم ويحبط سعيهم لانه لا يحب من كان على تلك الصفات الباغية الأثيمة (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى

يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين) .

لقد حرص الاسلام كل الحرص على توطيد السلام وجعل السلام شعارا له في كل ظرف وفي كل مناسبة حتى لو كانت الحرب قائمة وطلب العدو الصلح فلا مانع من اجابته في نظر القرآن ترجيحا لجلب السلام (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) .

ان روح الشريعة تطالبنا بأن تتأمل أسرار ديننا وتتمسك بأوامر شريعتنا فنتسلح بالعلم والحجة وتتسلح بالعدة والقوة ونلبس لكل حال لبوسها ، ونواجه كل ظرف بما يلائمه ويناسبه ، فمن طلب الحجة فيناقشه بالحجة ومن أبى الا القوة فنستعمل معه القوة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين) .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان « لو » تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه ابو داود باسناد صحيح . لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى وقال حديث حسن صدق رسول الله .

الطالب في معهده والتلميذ في مدرسته والعاكف في مسجده يتلقى درسا

من دروس العلم كل اولئك جنود في سبيل الله لهم اجر الجنود المحـاربين لأن هؤلاء ينفعون دينهم بالحجة وأولئك يدافعون عنه بالقوة .

ان العالم حيثما يوجه الناس ويرشدهم من فوق منبره أو كرسيـه أو محرابه يشبه القائد حينما يوجه الجند في الميدان ويسوقهم الى المعركة . ان الحرب قبل أن تكون قتالا في الميادين تكون معانى في القلوب والتهابا في الافكار وكلاما بالألسنة ودعايات بالكتابة والبيان ، لذلك كان لا بد لنا من العـلم والحجة كما أنه لا بد من الذخيرة والقوة .

اللهم ارنا الحق حقا فنتبعه وارنا الباطل باطلا فنجتنبه .

موقف الاسـلام من موالاة الـكفار

قال الله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) قال الفخر الرازى في تفسير سورة آل عمران بعد هـذه الآية ، واعلم انه تعالى أنزل آيات أخر كثيرة في هذا المعنى منها قوله تعـالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم) وقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقوله تعالى (ولا تتخـذوا اليهـود والنصارى أولياء) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عـدوى وعدوكم أولياء) وقال تعالى (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) قال رحمه الله تعالى بعدما ذكر واعلم أن كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجـه :

أحدها : ان يكون راضيا بكفره ويتوالاه لأجله وهذا ممنوع منه لأن كل من فعل ذلك كان مصوبا له في ذلك الدين وتصويب الكفر كفر والرضى بالكفر كفر فيستحيل ان يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة •

ثانيها : المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه •

ثالثها : وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين هو أن موالاة الكفار بمعنى الركون اليهم والمعونة والمظاهرة والنصرة اما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد ان دينه باطل هذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه لان الموالاة بهذا المعنى قد تجره الى استحسان طريقته والرضى بدينه وذلك يخرجه عن الاسلام فلا جرم ان هدد الله تعالى فيه فقال (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) انتهى كلام الفخر الرازي •

وقال الشيخ علاء الدين الخازن : ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما او مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين ، وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) قال الخازن أخبر الله تعالى (ان ايمان المؤمن يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لان من أحب احدا امتنع ان يحب عدوه ، فان قلت قد اجتمعت الأمة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة ؟

قلت : المودة التى طورت هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دنيا ودينا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا خطر فيه وبالغ تعالى في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب في لغة الدين اهـ كلام الخازن .

وقال ابو البركات النسفى في تفسير هذه الآية أي من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) الآية ثم قال : وقال سهل يعنى ابن عبدالله التسترى من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب

وقال الخطيب عند تفسير هذه الآية قال القرطبي : استدل مالك بهذه الآيـة على معاداة القدرية وترك مجالستهم اهـ .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجـد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يرد في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار وفي رواية لهما عن أنس أيضا : ثلاث من كن منه وجد حلاوة الايمان وطعمه ان يكون اللـه ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب في الله ويبغض في الله وان توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليه من أن يشرك بالله شيئا .

روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما دعاء طويلا كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم من جملته ، اللهم اجعلنا هداة مهتديـن غير ضالين ولا مضلين صلحا لأوليائك وحربا لأعدائك نحب بحبك من احبك ونعادي بعداوتك من خالفك وهذا ونحوه تعليم منه صلى الله عليه وسلم لا منه والا فهو متصف بذلك بيقين .

اليهـــود والحســـد

بين الحق سبحانه وتعالى في كثير من الآيات القرآنية جملة من مواقف اليهود مع المؤمنين وفصلها كل التفصيل وحللها كل التحليل فكأنه يصور شخصيتهم على حقيقتها التى يصعب على المؤمنين الاطلاع عليها واكتشافها .

ومن تلك المواقف التى تحدث عنها القرآن ما جاء في سورة البقـرة قال الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شي قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير) .

ان اليهود كانوا يعلمون كل العلم ويدركون أن العزة والسيادة والخلافة والقيادة في الأرض مرتبطة تمام الارتباط بالرسالة السماوية وأن أي عـزة أو سيادة عن غير ذلك الطريق لن تكون وان كانت فانها لا تدوم .

وهذه الحقيقة ـ هو الحق الذى يعلمونه ـ وهو الحق الذى تبـين لهم ويفهمونه وهو الحق الذى مروا به من قبل وذاقوه وعاشوه وهو الحـق الذى أخبرهم به علماؤهم واحبارهم ورهبانهم وهو الحق الذى يشهد بـه تاريخهم القديم وهو الحق الذى لا ينكره واحد منهم ، وحتى لو نسي جيل منهم في فترة من الزمن هذه الحقيقة فانه لا بد من ساعة تأتى يتبين لهم الحق فيعرفون هذه الحقيقة تقول لهم لقد كان أجدادهم بمصر من قبل مستضعفين أذلاء مستعبدين لا حرمة لهم ولا ذمة ولا اعتبار ولا قيمة يعاملون معـاملة الحيوانات بل أقل أبناءهم يقتلون ونساءهم يستخدمون وكبارهم يعذبون .

حتى جاءهم موسى ومعه النبوة والرسالة وهى الهدى والنور وهى الفرقان والكتاب ومعها الخير والبركة والرحمة والسعادة والحرية فاختارهم الله تعالى لتحمل هذه الرسالة والمسؤولية فارتبطوا بالرسالة ودخلوا تحت لواء النبوة وليس بحثنا في وفائهم بحق تلك الرسالة وقيامهم بها أو عدم ذلك وانما الخلاصة التى لا خلاف فيها أن الله تعالى أعزهم بتلك الرسالة وفضلهم وشرفهم وكرمهم وجعل منهم الخلفاء والملوك والأنبياء وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين وأفاض عليهم من النعم والعطايا ما لم يخطر لهم على بال أو يتصوروه في يوم من الأيام وكتب لهم النصر وأغرق عدوهم وأشهدهم يوم هزيمته ورأوا بأعينهم سوء عاقبته وكانت الكلمة كلمتهم والدولة دولتهم والسلطان اليهم •

فلما جاء الاسلام وبعث نبينا عليه الصلاة والسلام واختار الله له اخوانا وأصحابا قاموا بحقه خير قيام وخرجوا به من الجهل الى العلم ومن الظلام الى النور في سنوات معدودة أدرك اليهود أن نجمهم قد أفل وأحسوا بالخطر الداهم الذى أقبل ، فهذه رسالة سماوية وهم يعلمون صدقها في قرارة أنفسهم وهؤلاء أنصار وأتباع تحملوها والتزموها فلا شك اذا في النتيجة المرتبة على ذلك انها العزة والسيادة والخلافة والدولة والوراثة في الأرض ولذلك كان أهم شيء يخططون لهم ويرتبون هو فصل المسلمين عن هذه الرسالة وهو مصداق قوله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) وهذا كله من بعد ما تبين لهم الحق الذى بسطناه •

فضل الاسلام في وحـــدة الامة

لا ريب أن اقوى عامل على رفع منار الأمم وافضل معين على نهوضها الى القمم واحسن عماد لنيلها منتهى المجد والشرف هو اجتماع القلـوب واتحاد الكلمة فما تمسكت به أمة الا ظهر سلطانها وقويت شوكتها ودامت دولتها وبلغت في الرقي ورغد العيش اقصى الغايات وارفع الدرجات • وما تفرقت أمة واختلت كلمتها وتنازعت في أمرها الا اضمحل سلطانها وضعفـت قوتها ، وذلت دولتها وتبدل عزها ذلا ، ورفعتها ضعة وانحطاطا ، وكان من نصيبها الفشل والخسران المبين لهذا أمر الله بالائتلاف والاتحاد ، ونهى عن التفرق والتنازع قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـوا) • وقال تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مـع الصابرين) •

أيها الناس ، ان العاقل من بغيره اتعظ ، وان التاريخ لعبرة وعظـة ، أنظروا الى ما كانت عليه الامة العربية أيام الجاهلية ، تروها كانت على أسوأ حال ، حرب متواصل ، وتفرق دائم وعداء مستحكم ، وهمجية ممقوتـة ، يتعدى بعضهم على بعض ، ويبطش القوى الضعيف ، لا دين يمنعه ، ولا قانون يردعه ولا انسانية تحجزه ولا منصف يوقفه عند حده الى ان سطع نـور الاسلام فأضاء بلاد العرب ، واستنارت به أرجاء نجد وتهامة ، وارتجـت لأجله بلاد فارس والروم ، ولكن أبى الله الا ان يتم نوره على يدى هـذا الرسول الكريم والسيد السند العظيم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، فانضم عليه العقلاء والتف حولـه السعداء ، فنزع الله من قلـوبهم داء العـداوة والبغضاء وطهرها بدواء الاخـلاص والمحبة ، والف بينهم فصاروا روحـا

واحدة في جسم واحد ، ففازوا بربح جسيم ، وظفروا بخير عميم ، (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

كان لدولة الاسلام العز الذاتى الذى لا يدانى ، والسلطان الذى لا يضاهى ، فقهروا الجبابرة ، ودوخوا الاكاسرة ، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها ، وادركوا باتحادهم على قلة عددهم ، وضعف عددهم ، ما لم تدركه الجيوش على كثرتها وقوة عدتها ، فلقد التف الناس حول عمر بن الخطاب رضي الله عنه واتحدت كلمتهم ، واجتمعت نيتهم ، فقهروا دولة الفرس والرومان ، وفتحوا الشام ومصر ، وانتصروا في كل الوقائع ولم تنكس لهم راية ولم (ينهزم لهم جيش) وكان كل واحد منهم يعمل باخلاص لاعلاء الدين ورفع شأنه ، ناسيا حظ نفسه وكل مأرب شخصي ، ولما بويع عمر بالخلافة بادر بعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش ، وقد فعل ذلك عمر لأمر أدركه ، ومصلحة رآها ، فحينما بلغ خالدا امر العزل سلم عن طيب نفس قيادة الجيش الى ابى عبيدة عامر بن الجراح ، ولم يجد في نفسه حرجا مما رآه أمير المؤمنين ، ودخل في صفوف المجاهدين كجندى عادى ، واصبح مرؤسا بعد ان كان رئيسا ، وكل ذلك لم يثن من عزيمته ولم يصرفه عن الاقبال على العمل بصدق واخلاص ، هكذا فهموا الاسلام ، وهكذا ساروا عليه عاملين مخلصين لا شقاق ولا نفاق ، فبلغوا ما بلغوا من مجد وعز وشرف وخلوة .

وحدة الامــة ومؤتمر القمة الثالث بمــكة المــكرمة

لا شك أن وحدة الأمة واجتماع الكلمة هى المظهر الذى لا يمكــن الاكتفاء بغيره لديننا الحنيف وفي وسط هــذا الميدان تتم كل أنــواع البر والصلة والمودة والاحسان والتعاون والتضامن والتآزر وفي هذا الميــدان تتحقق كل الآداب الاجتماعية والشعائر الدينية والاخلاق الاسلامية .

وبهذه الوحدة تندفع كل التيارات الالحادية وتتكسر امواج الغــزو الفكرى وتندحر الحركات الالحادية ونحافظ على صفاء مجتمعنا الاسلامى .

وبهذه الوحدة تقوم أركان الدولة الاسلامية عزيزة منتصرة قوية رائدة قائدة يحتمى بجانبها الخائف ويخاف منها الجائر ويعز بها أهل الحق ويذل أهل الباطل .

ولا شك أن الدعوة الى المؤتمرات هى من أقرب الوسائل وأعظم السبل لتحقيق هذا الهدف .

وان من يمن الطالع أن يأتى عقد مؤتمر القمة الثالث هذا في الزمــان المناسب والمكان المناسب .

فأما الزمان فهو بداية القرن الهجرى الجديد .

ولا شك أن في هذه الالتفاتة المشكورة والهمة المبرورة بشائر الخير التى تبعث الأمل في النفوس بقرب يقظة صادقة ورجعة جادة الى منابع الخير

وأصول الهداية التى صلح بها حال سلف هذه الأمة والتى لن يصلح آخرها الا بها .

ان هذا يشير الى بداية الاحساس والشعور بقيمة أصالتنا ونفاسة ذخيرتنا وعظمة ميراثنا .

وبداية الاحساس هو بداية الطريق انه بداية طريق الرجوع الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه بداية تجديد العهد بالدين القويم والصراط المستقيم الذى هو ميراث الأنبياء ونهج المصلحين .

ان هذه العناية الشعبية والرسمية بهذه الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات يعطينا معانى كريمة هى من أصول منهجنا ومقاصدنا وخصوصا في هذه الظروف الراهنة التى تعيشها الأمة الاسلامية من تفرق واختلاف وعداء وتناحر وتداحر .

ان المهمة يسيرة والطريق سهل لجمع الكلمة ووحدة الصف اذا صدقت الكلمة وصفت النية وماتت المنافع وسقطت المصالح .

فالشعوب الاسلامية اليوم على أتم الاستعداد للرجوع فالشباب في حيرة يتطلع الى العودة الى الدين ، والنساء الشابات في قلق وتشوق الى منهج اسلامى قائم يحمى اعراضهن ويدافع عن عفتهن يعشن تحته بسلام وأمان ، فهذه مناسبة الزمان لهذا المؤتمر .

وأما المكان فمناسبته يأتى من جهة كونه بمكة مجتمع الأمن العالمي ومهوى أفئدة الأمة .

(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) .

اننا اذا استطعنا أن نعيد التعاون الى الحياة الاسلامية ونجعل الشعوب الاسلامية التى تؤلف اليوم بمجموعها كتلة بشرية ضخمة شعوبا متعاونة على الخير في ميادين الحضارة لنفع الانسانية جميعا قائمة بالدين صالحة للخلافة .

فاننا بذلك نحل مشكلة كبرى ولا شك أن الحاجة ماسة وان الضرورة قائمة للسعى في كل ما فيه وحدة الأمة واجتماع الكلمة والبحث في السبيل الصحيح لذلك ومعرفة أحوال المسلمين التى فتت في عضدهم وأثقلت كاهلهم وفرقت كلمتهم وابداء الشعور بذلك وتعريف المسلمين بأدوائهم وأمراضهم .

مظهر الوحدة في العبـــادات

تتجلى روح الوحدة الاسلامية في كثير من الشـــعائر والعبادات التى يجتمع المسلمون لأدائها وأظهر ذلك وأوضحه صلاة الجماعة التى تتمثـل الوحدة فيها في هيئة صفوف متراصة بنظام جميل وقيادة موحدة باتبـاع الامام في حركاته وفي جو روحى عظيم ولذا فقد حث عليها صلوات اللـه وسلامه عليه فاخبر أنها تزيد على غيرها بخمس وعشرين درجة ورتب الثواب الكبير والجزاء الجزيل على السعي اليها والجلوس في المسجد لانتظارهـا والمكث بعدها في المسجد انتظارا لما بعدها تكفيرا للسيئات وكتابة للحسنات ورفعا للدرجات وهو مكسب لا يقدر قدره 'الا من وفقه الله للتعرف عـلى فضل الله وانعامه •

ثم نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن التهاون بها وتوعد من تركهـا بأن يحرق عليهم بيوتهم •

وتتمثل أيضا الوحدة الاسلامية في الدعوة الى الاجتماع كل اسبوع في يوم الجمعة لصلاة الجمعة التى حث الشارع على المحافظة عليها والتبكير الى حضور هذا المحفـل العظيم ورتب كبير الثواب على ذلك • وحـذر من تركها وان في المداومة على تركها طبعا وختما على القلب الذى هو مصدر الخيرات •

وتتمثل أيضا الوحد ةالاسلامية في الدعوة الى الاجتماع في عيد رمضان عيد الفطر الذى حث الشارع على الحضور اليه واخبر أنه يوم الجـائزة ومن الذى لا يبادر الى قبض جائزة الرب سبحانه وتعالى •

وتتمثل الوحدة الاسلامية في دائرة اكبر وميدان أوسع في الدعوة الى الاجتماع في يوم عرفة في هذا اليوم المبارك ، فمنذ أن رفع سيدنا ابراهيم واسماعيل القواعد من هذا البيت المقدس امر الله خليله ان ينادى الناس الى هذا البيت الحرام ويدعوهم الى زيارته وقد وعده الله باستجابة دعوته وبلوغ ندائه الى الناس حتى من هم في الاصلاب والارحام ، فما زالت تهفو قلوبهم اليه فيأتونه من كل فج عميق مستجيبين لدعوة ربهم ملبين نداء خليله ليشهدوا منافع لهم وليبرزوا مظهر الوحدة الاسلامية التى هى اوضح صورة لهذا الاجتماع ، اذ تجتمع قلوب المسلمين متألفة متحدة متحابة على هذه العبادة فتهذب نفوسهم وترقى شعورهم وتذكرهم بالواجب وتذيب الفروق الشكلية التى بينهم فيقف الأمير بجانب الصغير والغنى بجانب الفقير والاسود بجانب الابيض والعجمى بجانب العربى في لباس واحد ومكان واحد وان ذلك ينسى مظاهر الترف التى فتنت الناس كثيرا ، وفي هذه الاجتماعات تمرين على الأعمال المشتركة وتدريب على مواقف الحروب تحت أمر قائد واحد وتعليم للنظام بالامر بالسعى والحركة والحل والارتحال والاحرام والاحلال فيزول الكسل ويحل العمل وفي هذه الاجتماعات تجديد لذكريات في النفوس تلهب الغيرة الاسلامية في القلوب فتستيقظ بعد نومها وتصحو بعد غفلتها وتتنبه بعد رقدتها وترجع الى بلادها حاملة بين جنبيها انطباعات اسلامية خالدة لا تنسى مدى الدهر بل تنبعث الحنين والشوق كلما دارت دورة هذه المواسم الدينية والاجتماعات الاسلامية عزيزة وشريفة للعهد الاسلامى الأول ، حيث وقف سيد الرسل والانبياء مع صحابته الكرام اولئك هم خير اصحابه ، عرفهم التاريخ وافتخر بهم الدهر وازدان بهم الكون ثم تكون في خاتمة هذا الموقف الجائزة الكبرى من المولى عز وجل أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه وهل بعد الغفران من جائزة وهل ثمة موقف أعظم من هذا الموقف الذى يشهد فيه المؤمنون أروع وأكمل صورة لتوحيد الله الذى هو الاقرار له بالوحدانية والملك والألوهية والخضوع

والطاعة والاستجابة اذ الكل يقولون لاقرار هذه الحقيقة لا اله الا اللـه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

فهذا موقف الوحدة للتوحيد تظهر الرابطـة المتينة بين التوحيد للـه والوحدة لاخوة الاسلام ولا يصح لمسلم بعد هذا ان يفصل بين التوحيد لله والوحدة الاسلامية وذلك ما كان يخشاه صلى الله عليه وسلم على الامـة بعده اذ قال في خطبة الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

المـؤمن كالجســد الواحد

أخرج البخارى في صحيحه ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين واجتماعهم بالجسد الواحد ، فاذا تألم منه عضو بمرض سرى الألم لباقى الأعضاء ، ولم تستقر له حال ولم يهدأ له بال وفقد لذة النوم والعافية اللتين هما من اجل نعم الله على عباده وكذلك المؤمنون اذا نزلت بهم كارثة أو ألمت بهم نائبة في صقع من الأصقاع أو ناحية من البلاد تألم الباقون لألمهم ، وسعوا بعواطفهم لرفع ما ألم باخوانهم من النوائب ، وما حل بهم من الخطوب ، وان تباعدت أقطارهم وتناءت ديارهم تحقيقا لأخوة الايمان ورابطة الاسلام ، المشار اليه بقوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) وبقوله : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) فالتوادد والتآلف والتعارف واجب من آكد الواجبات على المسلمين ، فهم في دين الله اخوان وفي محبته أخدان ، والمسلم المغربى أخ للمسلم الشرقى ، والمسلم الهندى شقيق للمسلم المغربى ، وهكذا بقية أفراد المسلمين اخوان أحباء وأعوان اوفياء وأنصار أعزاء رحماء ، تحقيقا للاعتصام المنشود والوحدة المطلوبة بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

فحرى بالمسلمين وجدير بالمؤمنين الموحدين أن يكونوا كتلة واحدة وصفا واحدا متراصة على نوائب الدهر ، وحوادث الزمان وليعلموا أن بالتفرق والاختلاف والتنازع والشقاق يكون الهلاك والعطب والخسران والزوال على حد الآية الكريمة : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) .

فالمسلمون بمجموعهم كشخص واحد وكل فرد بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص فاذا أصاب الخير واحدا منهم فكأنما أصاب الجميع والشر يصيب الواحد أيضا فكأنما وقع ألمه على المجموع ، وفي هذا الحديث عظة بالغة ودرس عظيم لأولئك المسلمين الذين لا يهتمون بأمر اخوانهم ، وما نزل بجيرانهم من كوارث ومحن ومصائب وفتن ، والنبى صلى الله عليه وصلم يقول : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ويقول : (لا يؤمن أحدكم) يعنى ايمانا صحيحا (حتى يحب لأخيه) يعنى المؤمن (ما يحب لنفسه) ، ويقول (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا) يعنى لا يتحقق ايمانكم الا اذا أحب بعضكم بعضا .

والتاريخ يحدثنا أن المهاجرين لما نزلوا على الأنصار في المدينة المنورة أفسحوا لهم الصدور ، وأسكنوهم في منازلهم وفرحوا بمقامهم معهم ، وشاطروهم أموالهم وملابسهم وخدمهم عن رضى واختيار كما جاء ذلك في القرآن الكريم : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، لأن نور الاسلام وهدايته أشرقت على قلوبهم ، فجعلتهم نفسا واحدة في أجسام متعددة ، فهل آن لنا أن نفيق من سكرتنا ، وتتنبه من غفلتنا ، ونقتدى بهؤلاء الأمجاد ، أم سنظل في التفرق والشقاق والضلال القديم .

فاتقوا الله يا قوم واعملوا بهدى نبيكم واقتدوا بأسلافكم الصالحين (ان تنصروا الله ينصركم) ، (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

الحضـارة فى الاسـلام

لا شك ان الناس يرون من عجائب العلم والاختراع في هذا العصر ما يبهر العيون فها هى ذى (الـكهرباء) تضيء لهم الظلماء ولهم فيها منافـع كثيرة وبسرعة البرق ينقل (الراديو والتلغراف والتليفون والتلفزيون) لهم الصور والأحاديث والأنباء وفي الزمن القليل يقطعون المسافة الطويلة بمـا أحدث العلم والاختراع من مراكب في البر والبحر والهواء .

ولا شك أن عجائب العلم والاختراع كثيرة في عصرنا ولكن منها مـا هو جمال ومتعة ونعمة وسبيل العمران ومنها ما هو نقمة وشر مستطير فلقـد صنعت المصانع الحربية ما يجعل الولدان شيبا من آلات الفتك والتدمـير ولقد صار العلماء الآن يتفننون في اختراع ما يقضي على الانسانية القضـاء الأخير مما لا يحمى منه قلاع ولا مخابىء ولا حصون وخبر (القنبلة) الذرية شاع وذاع وملأ الأسماع والبقاع وزاد الناس انزعاجا فوق انزعاجهم مـن الغازات الخانقة وما اليها من مهلكات وهكذا يصنع العالم المخترع ومن على شاكلته من المهتمين بآلات الابادة والتخريب فيروعون الآمنين ويشيعون الذعر في العالمين وماذا عليهم لو قصروا اجتهادهم في البحث والاختراع على مـا يفيد الانسانية ولم يتجهوا بالعلم الى غير النواحي العمرانية ؟ ولكن نفوسهم قد انطوت على القسوة والأثرة والأنانية فهم لا يحبون الخير لسواهم ولا يرحمون غيرهم ويبغون ويعتدون ويغدرون وينقضـون العهد ويغشـون وينافقون ويخادعون ويتفننون في صنع آلات القتال ليزهقوا الأرواح البريئة وأين الحضارة والمدنية مع هذا الجشع وذلك العدوان ؟ ولم تقف عند أطماع

تلك الدول الباغية فأخذوا يتسابقون في التفوق في السلاح تبغي كل منها تملك الخير وحدها ، والانفراد بالسيادة والسلطان ولقد ذاقوا في الحربين العالميتين وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرا فماذا جنوا من العلم والاختراع مع الظلم والحسد وعدم التدين سوى العناء والشر والشقاء وهكذا العلم بلا دين يجعل الحياة كدرا وتعسا وهما وذلا وخصاما ونزاعا وتعبا واضطرابا ان الحضارة الحقة والمدنية الصحيحة الصادقة حيث الحياة الطيبة الهنيئة في هدوء واطمئنان وقوام تلك الحياة وأساسها الايمان والعدل والاحسان والرحمة والحنان والمساواة والانصاف والصدق في القول والاخلاص في العمل الصالح وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون وقد جاءت الرسل بذلك كله دينا وصراطا مستقيما ، وفضائل تتحلى بها النفوس ولقد عاش الناس في راحة وطمأنينة وأمان بهذه الأخلاق الكريمة في ظلال الاسلام وتحت راية القرآن مدة من الزمان سجل فيها التاريخ الشهادة للاسلام ، بأنه دين العلم النافع الذى يسعد بنى الانسان ودين الرحمة والرأفة والصلاح والسلام والحضارة والمدنية في أعلى مقام ولذلك اختار الله تعالى دينا للناس بعد أن بلغت الانسانية رشدها وقال جل شأنه (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ومن العلم النافع الذى يلفت الاسلام معتنقيه اليه العلم الذى تعز به الأوطان والذى تصح به الأبدان والذى به القوة وارهاب حلفاء الشيطان فقد قال عليه الصلاة والسلام (احرص على ما ينفعك) أيها المسلمون استمسكوا بالاسلام في جميع نواحيه بذلك تصح عقائدكم وتصلح أعمالكم وتحسن أخلاقكم فتحيون في نور وسرور وتلفتون الأنظار الى حضارة دينكم الباهرة ومدنيته الزاهرة وتفوزون بدخول الجنة في الدار الآخرة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) .

روى البخارى في الأدب المفرد والامام أحمد في المسند والطبرانى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (أحب الأديان الى الله الحنيفية السمحة) .

وروى الامام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انى أرسلت بالحنيفية السمحة) .

الرفـــق بالحيـــوان

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لعن النبى صلى الله عليه وسلم من مثل بالحيوان .

رواه البخـــارى

الرفق بالحيوان موضوع خطير اهتمت به الدول الاجنبية اهتماما كبيرا والفت له جمعيات كثيرة عندهم ، ولكن الاسلام قد سبق هذه الأمم والدول منذ أربعة عشر قرنا الى العناية به والوصايا به ، لأن الاسلام هو دين الرحمة والرفق والفضيلة والاحسان ، علم ذلك من علمه وجهل ذلك من جهله .

دعوة الاسلام الى الرفق العـــام :

وقد وردت عدة أحاديث في وجوب الرفق عامة .

قال صلى الله عليه وسلم : (ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى عـــلى الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه) رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الله يحب الرفق في الأمر كله) رواه الشيخان .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الرفق لا يكون في شيء الا زانـــه ولا ينزع من شيء الا شانه) رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) رواه مسلم .

انواع الرفق بالحيوان :

هي كثيرة جدا منها حسب ما ترشد اليه الاحاديث •

النهى عن وسم الحيوان وضربه :

والوسم (أن يكوى الحيوان في وجهه بالنار) •

قال صلى الله عليه وسلم وقد مر على حمار وسم في وجهه : (لعن الله الذى وسمه) رواه مسلم • وفي رواية عن مسلم (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه) •

في هذه الرواية (الثانية) دليل على ان النهى عن الوسم في الوجه ليس خاصا بالحمير بل هو عام في جميع الحيوان ، لما فيه من التشويه والتعييب وشدة الآلام وتغيير خلق الله •

اما الوسم في الوجه فمنهى عنه بالاجماع ، وفي غير الوجه جائز ، وكان صلى الله عليه وسلم يسم الغنم في آذانها وابل الصدقة في غير وجهها تمييزا لها •

النهى أن يتخذ هدفا للرمى :

أي يمسك الحيوان حيا ويحبس ثم يرمى بالنبال حتى يموت • وقد مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوه تفرقوا فقال ابن عمر رضي الله عنهما من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا •

والغرض (بفتحتين) هو الهدف والشيء الذى يرمى اليه •

وفي الحديث دليل على انه من الكبائر للتصريح فيه باللعن •

النهى عن تعذيبه بالنار وذلك حـرام :

روى أبو داود باسناد صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قرية نمل قد أحرقها أصحابه صلى الله عليه وسلم فقال : (من حرق هذه ؟ فقال بعض أصحابه نحن ، فقال : انه لا ينبغى أن يعذب بالنار الا رب النار).

هذا وقد تضمنت الاحاديث النبوية كثيرا من أنواع الرفق ، لا يكفى هذا الموضوع لتفصيل كل نوع وهى بالاجمال :

النهى عن تحميله فوق طاقته والجور عليه .

استحباب البر بالحيوانات .

وجوب علاجه اذا مرض .

التعزير الشرعي للقساة على الحيوان .

مايجـوز قتـله من الحيـوان :

من الحيوانات ما هو مجبول على الايذاء مطبوع على التعدى والفتك يبادر بالأذى ويسارع الى الاضرار فهذا يجب قتله ، لأن الشارع الحـكيم اوجب قتل الذين يسعون في الارض فسادا من الآدميين بنص القرآن ، فما كان شأنه من الحيوانات كذلك فانه أولى بالقتل والابادة .

(مثال) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح : الغـراب والحدأة والفأر والعقرب والكلب العقور) متفق عليه .

وألحق بهذه الخمسة ما في معناه مما يبدأ بالأذى أو ما لا يبدأ بالأذى (كالضبع) فله ان يقتله ان عدى عليه .

وورد استحباب قتل الوزغ وهو من الحشرات المؤذيات ، باتفاق .

النهى عن اجاعته وحبسه :

يحرم ذلك والدليل حديث الهرة (دخلت امرأة النار في هرة) وهذا الحديث يدل أيضا على جواز امساك الحيوان الذى يؤنس منه مع القيام بكفايته •

ومر الرسول صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق بطنه بظهره من شدة الجوع فقال : (اتقوا الله في هذه البهائم فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) رواه ابو داود •

النهى عن العنف عند ذبحه :

ومع اباحة الشارع ذبح ما شأنه ان يذبح من الحيوان المأكول ، حث على الرفق به في الذبح وحذر من كل ما فيه تعذيب له •

فقال صلى الله عليه وسلم : (ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) أخرجه الخمسة الا البخارى •

والقتلة والذبحة (بكسر القاف والذال) •

ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا أضجع شاتا وهو يحد شفرته وهى تلاحظه فقال صلى الله عليه وسلم : (أتريد أن يميتها موتات هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها) •

فلا تساق الى الذبح سوقا عنيفا بل رفيقا رحيما ولا تذبح على مرأى من بهيمة أخرى يراد ذبحها لئلا تراع ، ولا تذبح من القفا بل بين الحلق واللبة وهى المنحر ، وتحد الشفرة قبل اضجاعها ولا يشرع في تقطيعها أو

سلخ اهابها أو نتف ريشها الا بعد ان يتبرد وتسكن تماما من الحـــركة والاضطراب •

وقد تكفلت كتب الفقة ببيان شروط الذبح وكيفيته وموضعه وآدابــه الشرعية بما لا مزيد عليه وكل ذلك تحقيق للاحسان في الذبح المأمور به رفقا بالحيوان •

الاحسـان الالهى

احسان الله سبحانه وتعالى ونعمه على عبده لا يجهل او ينكر ، فـان احسانه على عبده في كل نفس ولحظة وهو يتقلب في هذا الاحسان في جميع أحواله ويشهد آثاره وفوائده في حركاته وسكناته ويعلم كل العلم أنه عاجز كل العجز عن ضبط أجناس هذا الاحسان فضلا عن أنواعه او عن أفـراده ويكفى أن من بعض أنواعه نعمة النفس التى لا تكاد تخطر ببال العبد واذا أراد الحاسب أن يحصى أفراد نعمة النفس فقط فانه يكل عن ذلك واذا تكلف العدّ واجتهد في معاناة الحصر فلا يتحصل الا على وجه يقارب الحقيقة بدون تحديد وعلى هذا الأساس قال العلماء ان العبد يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفس وكل نفس نعمةفلله عليهفي كل يوم وليلة أربعةوعشرونألف نعمة من هذا النوع فقط فاذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم هى هذا العدد الكبير فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه وهذا المعنى المبسوط ضمنه القرآن الكريم كلمات معدودة في التنزيل فقال عز وجل (وان تعدوا نعمة اللـه لا تحصوها) هذا الى ما يدفع عنه من المضرات وأنواع الأذى التى تقصـده ولعلها توازن النعم في الكثرة والعبد لا شعور له بأكثرها اصلا والله سبحانه وتعالى يحفظه منها بالليل والنهار كما قال تعالى (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أي من يحفظكم بدل الرحمن فهو الذى يكلؤكم وحده لا كالىء ولا حافظ لـكم غيره وهو المنعم عليكم بكلاءتكم وحفظكم وحراستكم مما يؤذيكم بالليل والنهار وحده لا حافظ لكم غيره هذا مع غناه التام عنـكم وفقركم التام اليه وأنتم الفقراء المحتاجون اليه من كل وجه وهو الغنى عنكم من كل وجه والاحسان الالهى احسان واسع عام يشمل البر والفاجر والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي كم من قوم يبارزونه بالمعاصي وهو ينعم عليـهم

بالستر وكم من قوم لا يذكرونه ولا يعبدونه وهو ينعم عليهم بالرزق والمطر ، روى الترمذى (أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى السحاب قال هـذه زوايا الأرض يسوقها الله الى قوم لا يذكرونه ولا يعبدونه) وفي الصحيحين (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم) فسبحانه من رب كريم كم يتحبب الينا بالنعم وهو غنى عنا وكم تتبغض اليه بالمعاصي ونحن فقراء اليه ولو لم يكن من تحببه الى عباده واحسانه اليهم وبره بهم الا أنه خلق لهم ما في السموات والأرض وما في الدنيا والآخرة ثم اهلهم وكرمهم وأرسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وشرع لهم شرائعه وأذن لهم في مناجاته في كل وقت أرادوا وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وكتبهم بالسيئة واحدة فان تابوا منها محاها وأثبت مكانها حسنة واذا بلغت ذنوب أحدهم عنان السماء ثم استغفره غفر له وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب فوفقهم لفعلها ثم قبلها منهم وشرع لهم الحج الذى يهدم ما قبله فوفقهم لفعله وكفر عنهم سيئاتهم به وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات وهو الذى أمرهم بها وخلقها لهم وأعطاهم اياها ورتب عليهم جزاءها فمنه السبب ومنه الجزاء ومنه التوفيق ومنه العطاء اولا وآخرا وهم محل احسانه فقط ليس منهم شيء انما الفضل كله والنعمة كلها والاحسان كله منه أولا وآخرا ، العبد عبده وأعطاه ماله وقال تقرب بهذا الى أقبله منك فالعبد والمال له والثواب منه وهو المعطى ملأ سبحانه وتعالى سمواته من ملائكتـه واستعملهم في الاستغفار لأهـل الأرض واستعمل حملة العرش منهم في الدعاء لعباده المؤمنين والاستغفـار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم والشفاعة اليه باذنه أن يدخلهم جناته فانظر الى هذه العناية وهذا الاحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب الى العباد واللطف التام بهم ومع هذا كله أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وتعـرف اليهم بأسمائه وصفاته وآلائـه وأخبرهم أنه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيـا نزولا يليق بجلاله وكماله بلا كيف ولا مثال يسأل عنهم يستعرض حوائجهم

بنفسه ويدعوهم الى سؤاله فيدعو مسيئهم الى التوبة ومريضهم الى أن يسأله أن يشفيه وفقيرهم الى أن يسأله غناه وذا حاجتهم الى أن يسأله قضاء حاجته ويدعوهم الى التوبة وقد حاربوه وعذبوا أولياءه وأحرقوهم بالنار قال تعالى (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) قال بعض السلف انظر الى كرمه كيف عذبوا أولياءه وأحـــرقوهم بالنار ثم هو يدعوهم الى التوبة •

انما الدنيا لاربعــة نفــر

روى الامام الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن أبي كبشة الانماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أثناء حديث له : (انما الدنيا لأربعة أنفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعرف لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولـم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهـو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعـلم لله فيه حقا فهـذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مـالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء) صدق رسول الله •

الناس في الدنيا على أربعة أقسام عالم غني وعالم فقير وجاهل غني وجاهل فقير ، فأما العالم الغني فقد رزقه الله العلم والمال وأعطاه خير الدنيا والدين ووسع عليه وفضله وأكرمه فهو يعلم بما وقف عليه من آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لله حقا واجبا في المال الذي أعطاه ، وأنه لا يجوز أخذ المال الا من حلال كما لا يجوز صرفه وانفاقه الا في الحلال فهـو يتقي ربه عز وجل في ذلك المال فيصل منه الأرحام ويخرج زكاته كل عــام ويواسي الفقراء والمساكين ويعطف على البائسين والمحتاجين فهذا رجـل قد فاز بأعلى المنازل في الدنيا وأسمى المقامات في الآخرة لانه ظفر برضوان الله كما اكتسب محبة الناس • وأما العالم الفقير فقد منحه الله العلم وحرمـه المال امتحانا له واختبارا ، فهو يعرف بمقتضى علمه أن المال لا قيمة لـه الا اذا أنفق في الخيرات وبذل في وجوه الصدقات وأبواب القربات كما يعـرف

بمقتضى علمه ان الدنيا كلها زائلة فانية وان الاعمال الصالحة هى الدائمة الباقية فهو لذلك يتمنى أن يعطيه الله المال لينفع به الناس ويود من صميم قلبه أن يوسع الله عليه ليقوم بصرفه وبدوره على عباد الله والله يعلم منه صدق هذه النية ويطلع على هذا القصد الجميل فيكتب له ثواب من أعطى وتصدق ويرفعه الى منزلة المحسنين المنفقين لانه عزم على الخير وصمم على تنفيذ الخير ، أما الثالث فقد أعطاه الله المال وحرمه من العلم فهو لا يعرف حق الله ولا حق الناس ولا يتقى الله في هذا المال ولا يشكره عليه وانما يستأثر به ويحرم منه الفقير والمحتاج يصرف ماله في اللذات ويضيع عمره في الغفلات والشهوات يبخل بالشيء الحقير يعطيه يتيما او جائعا بينما يجود بالكثير في الملاهى والملاعب وفي دور اللهو والفجور وفي لعب القمار لا يترك بابا من الشر الا طرقه ولا طريقا يغضب الله الا اندفع اليه فهل ينتظر لهذا الا شر المنازل ؟ وسوء العواقب ؟ وهكذا يكون الامر يوم الحساب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وأما الرابع فانه رجل حرم الخيرين وفقد السعادتين سعادة العلم وسعادة المال فهو جاهل فقير غرته المظاهر وخدعته مباهج الحياة فيتمنى أن يعطيه الله المال ليفعل به كما يفعل زميله الثالث قد علم الله فساد نيته وسوء قصده وطويته فلذلك يجعله في منزلة الفاجرين الفاسدين لانه عزم على الشر وتمنى ان يكون من الظالمين .

أيها المؤمنون أرأيتم كيف يرفع الله بالنية أقواما ويضع بها آخرين بل ان النية الصالحة ترفع أصحابها الى منازل الابرار وترتقى بهم الى أعلى عليين ، أما النية السيئة فانها ترتد بأصحابها الى أسفل المنازل وتنحط بهم الى أحط الدركات ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى

الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) رواه الشيخان •

وهل تصلح النية الا بالعلم ؟ وهل يستقيم القول والعمل والاعتقاد الا بالفقه والعلم الصحيح والمعرفة ؟

ان العبد اذا رزقه الله العلم فقد رزقه كل خير واذا حرمه من العلم فقد حرم من كل خير وصدق القرآن العظيم (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب) والحكمة هى العمل الصالح والعلم النافع ، اذا رزقك الله العلم أصلحت به نفسك ووفقت به غيرك وعظمت به في نظر الناس ولو كنت فقيرا وكتبت به في درجة المنفقين المتصدقين ولو كنت معسرا فياليت شعرى أي شيء في الدنيا أفضل من العلم ؟

أي درجة أسمى من درجة العلماء العاملين ؟ (أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) فاتقوا الله عباد الله ، فعلينا بالعلم والعمل ولنحذر الجهل والغرور ولنصلح لله أعمالنا ونخلص له نياتنا ونراقبه في أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا وان الله رقيب على ما نعمل (وان تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) •

روى الشيخان عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ورويا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) • قال الامام النووى في كتابه رياض الصالحين المراد بالحسد الغبطة وهو أن يتمنى مثله •

أهـــل الاحســـان

أعظم النفع ما كان عاما ، وأجل الفائدة ما كانت شاملة متعدية للغـير غير شخصية ولا مقيدة أشبه ما يكون بالرحمة الالهية في شمولها وسعتهـا وعمومها واصحاب هذه الطبقة من الناس ، أهل الايثار والصدقة والاحسان الى الناس بأموالهم على اختلاف حاجتهم ومصالحهم من تفريج كرباتهم ودفع ضرورتهم وكفايتهم في مهماتهم وهم أحد الصنفين اللذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق) يعنى انـه لا ينبغى لاحد ان يغبط احدا على نعمة ويتمنى مثلها الا أحد هذين وذلك لما فيهما من منافع النفع العام والاحسان المتعدى الى الخلق فهذا ينفعهم بعلمه وهذا ينفعهم بماله والخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أنفعهم لعياله ولا ريب أن هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله ولا يقوم أمر الناس الا بهذين الصنفين ولا يعمر العالم الا بهما قال تعالى : (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سـرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقـال تعالى (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهـم ولهم اجر كريم) وقال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه لـه أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) وقال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم) فصدر سبحانه الآيـة بألطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب وهو ابـلغ في الطلب من صيغة الامر والمعنى هل أحد يبذل هذا القرض الحسن فيجـازى

عليه اضعافا مضاعفة وسمى ذلك الانفاق قرضا حسنا حثا للنفوس وبعثا لها على البذل لان الباذل متى علم أن عين ماله يعود اليه ولابد أن طوعت له نفسه فان علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه وينميه له ويثمره حتى يصير اضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح واسمح فان علم انه مع ذلك كله يريده من فضله وعطائه أجرا آخر من غير جنس القرض فان ذلك الأجر حظ عظيم وعطاء كريم فانه لا يختلف الا لآفة في نفسه من البخل والشح أو عدم الثقة بالضمان وذلك من ضعف ايمانه ، ولهذا كانت الصدقة برهانا لصاحبها وهذه الامور كلها تحت هذه الالفاظ التى تضمنتها الآية فانه سماه قرضا وأخبر أنه هو المقترض لا قرض حاجة ولكن قرض احسان الى المقرض واستدعاء لمعاملته وليعرف مقدار الربح فهو الذى اعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم اخبر عما يرجع اليه بالقرض وهو الاضعاف المضاعفة ثم اخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الكريم ، وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسنا وذلك يجمع أمورا ثلاثة أحدها ان يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه ، الثانى ان يخرجه طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاء مرضاة الله .

الثالث : ان لا يمن به ولا يؤذى ، فالاول يتعلق بالمال والثانى يتعلق بالمنفق بينه وبين الله ، والثالث : بينه وبين الآخذ ، قال تعالى : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وهذه الآية كأنها التفسير والبيان لمقدار الاضعاف التى يضاعفها للمقرض ومثله سبحانه بهذا المثل احضارا لصورة التضعيف في الاذهان بهذه الحبة التى غيبت في الأرض فانبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كان القلب ينظر الى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين الى هذه السنابل التى من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العيانى الى الشاهد الايمانى القرآنى فيقوى ايمان المنفق وتسخو نفسه بالانفاق ، وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهى من جموع الكثرة المقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى (وسبع

سنبلات خضر وآخر يابسات) فجاء بها على جمع القلة لان السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير وقوله تعالى (والله يضاعف لمن يشاء) يعنى ان الله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاء وذلك لتفاوت أحوال الانفاق في نفسه لصفات المنفق واحواله وفي شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع وكذلك الله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعمائة بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار الى اضعاف كثيرة.

واختلف في تقدير الآية فقيل مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل به فههنا أربعة أمور منفق ونفقة وباذر وبذر فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه فذكر من شق الممثل المنفق اذ المقصود ذكر حاله وشأنه وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها وذكر من شق الممثل به البذر اذ هو المحل الذى حصلت فيه المضاعفة وترك الباذر لان القرض لا يتعين بذكره فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والايجاز المتضمن لغاية البيان ، وهذا كثير في امثال القرآن بل عامتها ترد على هذا النمط .

ثم ختم الآية باسمين من اسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع العليم فلا يتبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عقله فان المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فانه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو اهل لها ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها فان كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه .

فضـــل العلمـــاء العـــاملين

مرتبة العلماء العاملين تلى مرتبة النبوة وجميع مراتب المؤمنين أنـــزل منها فان العلماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وســـلم وبين المسلمين وقد قال الله تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائـــكة وأولوا العـــلم) •

فانظر كيف قرنهم مع ملائكته في الشهادة على توحيده وقيامه بالقسط والعدل وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أي لا يستوون لا في الدنيا ولا في الآخرة وذلك لأن الله يفضل من يعلم على من لا يعلم بدرجات كثيرة قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) أي على الذين آمنوا وقال تعالى : (انما يخشى الله مـــن عباده العلماء) وقال (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الألباب) فالله عز وجل تقدست أسمـــاؤه اختص من خلقه من أحب فهداهم للايمان ثم اختص من سائر المؤمنين مـــن أحب فتفضل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين وعلمهم التأويل وفضلهم على سائر الناس وذلك في كل زمان ومكان رفعهم بالعـــلم وزينهم بالحلم ، بهم يعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل والضار من النـــافع والحسن من القبيح فضلهم عظيم وخطرهم جزيل فهم ورثة الأنبياء وقرة عين الاولياء الحيتان في البحار تستغفر لهم ، والملائكة تضع لهم أجنحتها رضـــا عنهم ففى الحديث (ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخـــير) رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطـــالب

العلم رضا بما يصنع) رواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه ، قال صلى الله عليه وسلم (ولفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، ان العلماء ورثة الأنبياء ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر) رواه ابو داود والترمذى والنسائي وابن حبان ، فالعلماء أفضل من العُبَّاد وأعلى درجة من الزهاد وهم غيظ الشيطان قال صلى الله عليه وسلم : (ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه) رواه الطبرانى في الاوسط ، وقال صلى الله عليه وسلم : (فقيه واحد أشد على ابليس من ألف عابد) رواه الترمذى وابن ماجه ، قال مجاهد بينا نحن وأصحاب ابن عباس طاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن عباس قائم يصلى اذ وقف علينا رجل يريد ان يسأل عن مسألة شرعية فقال هل من مفت ؟ فقلنا له سل فقال انى كلما بلت يخرج منى ماء دافق قال قلنا له : يخرج منك الماء الذى يكون منه الولد قال نعم قلنا عليك الغسل قال فذهب الرجل وهو مغتم لما ترتب عليه مما يشق عليه قال وأتم ابن عباس صلاته ثم قال لعكرمة: علي بالرجل وأقبل علينا فقال أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله ؟ قلنا لا ، قال فعن رسول الله ؟ قلنا لا ، قال فعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا لا ، قال فعن من ؟ قلنا عن رأينا ، فقال ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، قال وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال له ارأيت اذا كان

ذلك منك أتجد شهوة في قبلك ؟ قال لا قال فهل تجد خدرا في جسدك ؟ قال لا ، قال انما هذه (ابردة) يجزيك عنها الوضوء قال محمد بن الحسين كيف لا يكون العلماء كذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (رواه ابوبكر الآجرى في فضل العلم) فالعلماء هم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الامة وينابيع الحكمة بهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها سائرون في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم تحيروا واذا أسفر عنها الظلام أبصروا ففى الحديث (ان مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة) (رواه الآجرى في فضل العلماء) وعن موسى بن يسار قال بلغنا أن سلمان الفارسي كتب الى أبى الدرداء : ان العلم لينابيع يغشى الناس فيختلجه هذا وهذا فينفع الله به غير واحد وان الحكمة التى لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه وان علما لا يخرج ككنز لا ينفق منه وانما مثل المعلم كمثل رجل عمل سراجا في طريق مظلم يستضىء به من مر به وكل يدعو الى الخير فهم يذكرون الغافل ويعلمون الجاهل لا يتوقع لهم بائقة ولا يخاف منهم غائلة كم رجع المقصرون بجميل موعظتهم عن التقصير وكم تنازع المطيعون بحسن تأديبهم في الطاعة وكم تسابق الناس بفضل ارشادهم في الخيرات وكم سارعوا بعد نصحهم وبيانهم الى طريق الجنات فجميع الخلق محتاجون الى علمهم كما قال أبى بن كعب لذلك فموت العالم نجم طمس

وكسر لا يجبر وثلمة لا تسد فنحن في طريق مظلم فيه مليء بالآفات الكثيرة ويحتاج السائرون فيه الى ضياء فان لم يكن فيهضياء تحيروا وضاعوا وهلكوا لذلك قيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم الطريق وتنير السبيل ليسلكوه على السلامة والعافية فاذا أطفئت تلك المصابيح بقي 'لناس في الظلمة فما ظنكم بهم هكذا العلماء في الناس لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحرمات ولا كيف يعبد الله الا ببقاء العلماء فاذا مات العلماء تحير الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل ففى الحديث !ن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض انعلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا • فيا أيها الاخ الكريم شمر عن ساعد الجد وبادر لتعلم العلم النافع الواجب الذى به يطاع الله وبه يعبد الله وبه يعرف الحلال والحرام وبه يصحح الانسان عبادته ويحكم معاملته ويقيم ذلك على الطريق الشرعى ويرضى رب العالمين وهكذا كله في العلماء العاملين •

ما الفخر الا لأهل العلم انهموا — على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه — والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا — الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلم هو وسيلة تصحيح العمل

لا يصل العبد الى القيام بامتثال ما فرض الله عليه من الطاعة والى اجتناب ما حرم الله عليه من المعصية والى العمل بما شرع له من النوافل التى تقربه الى الله زلفى الا بالعلم ، لذلك كان طلب العلم النافع واجبا ، قال الله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) والمعنى هلا مسافر من كل فرقة جماعة لطلب العلم والتفقه في الدين وانذار من لم يتفقه فجمع بين المقصدين الصالحين والمطلبين الصحيحين وهما تعلم العلم وتعليمه لله ، فمن كان غرضه بطلب العلم غير ذلك فهو طالب لغرض دنيوى لا لغرض دينى .

والآية تدل على مشروعية الخروج والسفر لطلب العلم .

ثم بين الله تعالى ما يترتب على خروجهم وسفرهم وتفقههم في الدين بقوله : (لعلهم يحذرون) أي يحذرون من التفريط فيما يجب فعله فيترك أو فيما يجب تركه فيفعل .

وقال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى : (وقل رب زدنى علما) وهذا من أعظم أدلة شرف العلم وفضله اذ لم يؤمر صلى الله عليه وسلم أن يسأل الزيادة الا منه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة » رواه مسلم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه لله سنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة

والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في صحبتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها • رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وقال ابن عبد البر ليس له اسناد قوى •

وقال الحسن في قوله تعالى : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) ان الحسنة في الدنيا هى العلم والعبادة وفي الآخرة هى الجنة • وقال الأحنف : كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره •

وقال الزبير بن أبى بكر : كتب الي أبى بالعراق : عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا •

وقال علي بن أبى طالب رضي الله عنه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالاتفاق •

وقد ضمن هذا المعنى بعضهم فقال :

وكنز لا تخاف عليه لصا — خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الاتفاق منه — وينقص ان به كفا شددتا

وقد خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى العلم ومعه المال والملك •

ولا شك ان الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل

أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته ، فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع منه بطنا ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم •

وقال بعض العلماء : ليت شعرى أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم (احياء) •

فطلب العلم أفضل من النافلة ومن الأمور المندوبة ، وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : لأن أتعلم مسألة أحب الى من قيام ليلة •

وفي الحديث : (لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة) رواه ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس اسناده بذاك •

وقال الحسن : (باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها) رواه ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبدالبر •

علم هذه الفضائل الصحابة رضوان الله عليهم وعقلوها ، فكانوا القمة في الحرص على طلب العلم وتلقيه وغاصوا في بحار اليقين وعرجوا في مدارج العلوم والمعارف حتى بلغوا ذروة الفضائل على بصيرة من أمرهم وهدى من ربهم بأوفى ما بلغت اليه الطاقة البشرية في حياتهم ومجتمعهم وراثة عن النبوة الخاتمة متفاوتين في درجات معارفهم تفاوت درجات قرب أرواحهم من اشراق روحه الأشرف الأكرم وتفاوت أقدارهم فيما منح الله كلا منهم من الاستعداد للقبس من مشكاة أنواره صلى الله عليه وسلم فكانوا هم الأصل الذى يرجع اليه في الأصول ، والنبع الذى تنفجر منه عيون الايمان واليقين ، ضرب الله لهم مثلا في كتابه المبين فقال : (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) •

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك ، الحديث عند البخارى ، وبعد : فان العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ذلك لأن غاية ما يتمنى ويرجو الانسان هى السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا أفضل الأعمال ، ولا شك أن فضيلة الشيء انما هى بشرف ثمرته وقد عرفنا أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع ؛ هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم وتتفاوت فضائلها بتفاوتها .

عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار .

التوبة رجعـة مقبولـة

قال الله تعالى في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) صدق الله العظيم •

التوبة هى الرجوع عن الذنب والانابة الى الله بالاستغفار منـه وهى واجبة على كل مكلف من كل ذنب اقترفه وتأخيرها لا يجوز وهى نعمة ورحمة من الله تعالى أنعم بها على عباده ورحمهم بها ، اذ أمرهم بما أمرهم ونهاهم عما نهاهم وحثهم على ما حثهم وحذرهم عما حذرهم وهو يعلم أن شـأنهم التقصير ـ وهم نفس أمارة بالسوء ـ والشيطان قد توعدهم أن يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن كل جانب فيملأ عليهم الطريق بموانع السير وحيـاة عظمت زينتها وكثر لعبها ولهوها •

لذلك فتح الله على عباده بابا عظيما من أبواب الخير وطريقا سهـلا للرجوع وعلمنا ما تتدارك به ما يقع منا من التقصير في امتثال الأمر واجتناب النهى ألا وهو باب التوبة الذى يصل به العبد الى الفلاح فيفوز بالمطـلوب الأعظم وهو الجنة ورضا الله سبحانه وينال البقاء الدائم في النعيم والسرور وبعد أن يمحو ذنبه ويكفر سيئاته والزاما للنفس البشرية التى عاداتها القلق والضجر وعدم الثبات والنكول والرجوع والتلاعب قيد هذه التوبة بقيود ملزمة تحفظ الذى من أجله فتح بابها وهو اقامة سوق الطاعة بالاقامة فيها ، قيدها بالتوبة النصوح وبين أنها هى التى يترتب عليها كل ذلك الخير والفضل والثواب والعطاء فقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحـا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار)

وقد بين العلماء معنى هذه التوبة وأركانها وانها ثلاثة وهى :

الأول : الاقلاع عن الذنب ان كان متلبسا به .

الثانى : النية على ألا يعود الى الذنب أبدا .

الثالث : الندم على ما وقع منه من المعصية بأن يراجع صاحب المعصية نفسه مراجعة صحيحة ويتفكر ويتبصر ويقول لنفسه : ان لذة المعاصي كلذة الشراب الحلو الذى فيه سم قاتل وأن الشراب الذى فيه السم القاتل لا يستلذه عاقل لما يتبع لذته من عظيم الضرر بل يسارع الى الطبيب فيجرى له عملية تطهيرلمعدته وغسيل لها وحلاوة المعاصي فيها ما هو أشد من السم القاتل وهو ما تستلزمه معصية الله جل وعلا من سخطه على العاصي وتعذيبه له أشد العذاب وعقابه على المعاصي قد يأتيه في الدنيا فيهلكه وينغص عليه لذة الحياة ، قال قائل :

ولا تقرب الأمر الحرام فانه　　　حلاوته تفنى ويبقى مريرها

ونقل عن سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ أنه كان كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها　　　من الحرام ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها　　　لا خير في لذة من بعدها النار

قال الله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) •

(انما التوبة) أي قبولها (على الله) وليس المراد الوجوب كما هو المتبادر من لفظ (على) اذ لا يجب على الله شيء ، وانما هو تأكيد للوعد يعنى انه يكون ويحصل لا محالة ، كالواجب الذى لا يترك فالله وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) الآية • واذا وعد شيئا انجز وعده ، وصدق فيه ، فمعناه انه اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه وقوله في الآية (للذين يعملون السوء) أي المعصية صغيرة كانت او كبيرة وسميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) أي ملتبسين بها ، والمراد بالجهالة هنا الجهل والسفه بارتكاب ما لا يليق بالعاقل ، لا الجهالة بمعنى عدم العلم والشعور ، فان من لا يعلم لا يحتاج الى التوبة ، والجهل بهذا المعنى وارد في كلام العرب كقوله :ـ

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال مجاهد فيما اخرجه عنه البيهقى في الشعب وغيره : كل من عصى ربه فهو جاهل • واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة قال : اجتمع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصى به فهو جهالة ، عمدا كان أو غيره •

وقد بين سبحانه في الآية الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة بقوله (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان قريب ، وهو ما قبل حضور الموت والغرغرة بدليل قوله (حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن) فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وان عمر الانسان وان طـال فهو قليـــل .

اخرج الامام احمد والترمذى عن ابن عمر ان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم قال : (ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) والغرغـرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ، ولا يعمل اليه ، ولا يقدر على بلعــه ، وذلك عند بلوغ الروح الحـلقوم ، وقد جـاء في الاحـاديث الصحيحة وغيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفيد ان التوبة ماحية للذنب موجبة لارضاء الرب .

فمنها ما اخرجه ابن ابي شيبة عن قتادة قال : كنا عند انس بن مالك وثم ابو قلابة ، فحدث ابو قلابة قال : ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النُظرة ، فأنظره الى يوم الدين ، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ، قال : وعزتى لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح اهـ .

ومنها عن ابى هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسـلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال (اذا أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لي ذنبى ، قال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، علم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقـال تبارك وتعالى : ان عبدى أذنب ذنبا ، فعلم ان له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : اذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفرالذنب ويأخذ بالذنب) .

وفي رواية : (اعمل ما شئت فقد غفرت لك) . قال الراوى : لا ادرى

أقال في الثالثة او الرابعة : اعمل ما شئت • متفق عليه ، ومعنى ذلك انه مـا دام كلما اذنب ذنبا استغفر وتاب منه ، وعزم ان لا يعود اليه ، فليعمل مـا شاء ، فذنبه مغفور ما دام هذا دأبه ، لأن التوبة كفارة لذنبه ، وماحية لـه وليس معناه انه يذنب الذنب فيستغفر بلسانه ، وهو لا يزال مصرا عليـه لم يقلع عنه ، فان تلك توبة الكذابين ، كما يصرح به حديث البيهقى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهـزىء بربـه) •

ومنها عن انس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك مـا كان منك ، ولا ابالى ، ياابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا ابالى ، يا ابن آدم ، لو اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة) اخرجه الترمذى وقال حديث حسن• وعنان السماء بفتح العين ، قيل : السحاب وقيل ما عن لك منها وظهـر • وقراب الارض بضم القاف ما يقارب ملأها • وقد جاء في السنة (ان اللـه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتـوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها)•

وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة والرجوع اليـه بالتوبة واخلاص العمل وان العبد اذا تاب من ذنوبه انسى الله عز وجـل حفظته ذنوبه ، وانسى ذلك جوارحه واعضاءه ومعالمه وآثاره من الارض ، حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب ، فالنادم ينتظـر من الله الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم على عمله، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الاعمال بخواتيمها ، والليل والنهار مطيتان فلنحسن السير عليهما الى الآخرة ولنحذر التسويف ، فـان

الموت يأتى بغتة ، ولا نغتر بحلم الله عز وجل ، فان الجنة والنار أقرب الى احدنا من شراك نعله .

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وبهذا نعلم ان المؤمن اذا قارف الذنب ، ثم ندم بقلبه ، وتاب بلسانه ، بشروطها المعروفة ، يغفر الله تعالى ذنبه كرما منه سبحانه ، وانجازا لوعده الذى لا يتخلف ، ما لم تصل روحه الى الحلقوم ، وهو المسمى بالغرغرة ، وما لم يغلق باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها ، كما قال تعالى : (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) الآية .

وانه ينبغى له ان لا يسوف بالتوبة والعمل الصالح ، بل يتوب عقب المعصية ، لتكون توبته ماحية لمعصيته ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) .

فالبدار البدار ايها المؤمن الى التوبة عن المعصية ، فانها السم للجسد ، يفتت الفؤاد ، والتوبة ترياقها ودواؤها ، ولا يهولنك كثرة معاصيك فتيأس من نفسك فان ذلك خدعة من الشيطان بل تمسك بأذيال العفو والرجاء ، من خالق الأرض والسماء ، واتل آية (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا) .

قال الله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون • ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) في المائدة •

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل ، انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع به فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) ، الى قوله (فاسقون) ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، رواه ابو داود ، واللفظ له ، والترمذى ، وقال حسن غريب •

وفي رواية لأبى داود زيادة : (ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم) •

ولفظ الترمذى : كما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي ، نهاهم علماؤهم

فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان متكئا فقال: (لا والذى نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا) أي تقهروهم وتلزموهم باتباع الحق ، رواه ابن ماجه مرسلا . فعدم انتهائهم عن مجالستهم ومؤاكلتهم دليل على الرضا بفعلهم فلا يكفى ذلك في الخروج عن عهدة التكليف ، بالنهى عن المنكر ولهذا قال ابوبكر ــ رضي الله عنه ــ يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، اوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده) رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، واعلم انه من أقبح البدع ان بعض الجهلة اذا أمرته بمعروف ، أو نهيته عن منكر ، يقول لك قال الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وما علم الجاهل بقول ابى بكر ــ رضي الله عنه ، وكرم وجهه ــ ان من فعل ذلك ، اردف اثم معصيته ، باثم تفسير القرآن برأيه أي وهو من الكبائر . وانما معنى الآية : عليكم انفسكم بعد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قاله ابن المسيب ، وقال ابو عبيدة : ليس لنا آية جمعت بين الناسخ والمنسوخ سواها . وقال غيره الناسخ (اذا اهتديتم) اذ الهدى هنا : الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر اهـ .

عن معاوية ــ رضي الله عنه ــ انه كتب الى عائشة ان اكتبى الي كتابا توصينى فيه ، ولا تكثرى فكتبت : سلام عليك ، اما بعد : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، وكله الله الى الناس) والسلام عليك ، رواه الترمذى .

عن عبدالله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقالوا يا رسول الله اينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس ذاك انما هو الشرك) الم تسمعوا قول لقمان لابنه : (يا بنيّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) وفي رواية (ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه) متفق عليه •

وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة) الآية (متفق عليه) (ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ــ أي ديار ثمود وقوم صالح ــ قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا ان تكونوا باكين ، ان يصيبكم ما اصابهم ثم قنع رأسه واسرع السير حتى اجتاز الوادى) فحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول مساكن قوم عصاة لم يروهم • فكيف حالنا مع عصاة نراهم ونجالسهم ولا ننكر عليهم، وكيف حالنا اذا ارتكبنا المعصية ووافقناهم ؟ نسأل الله السلامة وقد اخبرنا صلى الله عليه وسلم (أن مثل المداهن في حدود الله ، والواقع فيها ، مثل قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في اسفلها ، وصار بعضهم في أعلاها فكان الذى في اسفلها يمر بالماء على الذين في اعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر اسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : مالك : قال : تأذيتم بى، ولا بد لي من الماء ، فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم ، وان تركوه اهلكوا انفسهم) رواه البخارى وهكذا اذا لم ينهوا مرتكب المعصية ، فصار سببا لنزول المقت والغضب ، اهلك الله العاصي منهم وغيره ، بسبب مداهنتهم له ، ثم ان كان فيهم من لا يقتدر على دفع الظالم ، وكان كارها لفعل اولئك

القوم ، يبعث يوم القيامة سالما من العذاب ، كما يصرح بذلك ما رواه أبوداود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا عملت الخطيئة في الارض فمن شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها ، كأن كمن شهدها .

عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم (اوحى الله ــ عز وجل ــ الى جبريل عليه السلام ان اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ، فقال : يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : فقال : اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط) رواه البيهقى في شعب الايمان ، أي لم يتغير ، والمقصود أنه لم يحصل منه انكار ابدا عليهم .

الاستخـــــارة

الاستخارة من الامور المطلوبة المحبوبة التى دعا اليها نبينا صلى الله عليه وسلم والدليل على ذالك :

أولا : اخرج أحمد والحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبزار بسند جيد والترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال : (من سعادة ابن آدم استخارتـه الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله) .

ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله .

ومن الثابت قولهم : (لا خاب من استخار ولا ندم من استشار) وهى صلاة مستحبة عند الجمهور والجمع بين الاستخارة (من الله) والاستشـــارة (من الناس) من تمام الجمع بين طرفى السنة .

قال قتادة : (ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا الىأرشد أمرهم).

ثانيا : روى البخارى من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها .

قال الشوكانى هذا دليل على العموم وأن المرء لا يحتقر أمرا لصغـره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه فـرب أمر يستخف به فيـكون في الاقدام عليه أو في تركه ضرر عظيم ولذلك قال صــلى الله عليه وســلم : (وليسأل أحدكم ربه حتى شسع نعله) وقد كان السلف يطلبون من الله حتى ملح الطعام وما هو أقل منه ثم يأخذون في الاسباب .

كيفيتها والقراءة فيها :

أما كيفيتها كما رواها البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا هم أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة (أي يصليها سنة نافلة بنية الاستخارة) ويقرأ فيها بما شاء • واختار بعضهم اجتهادا أن يقرأ فيها بسورة يس نصف في الركعة الاولى ونصف في الثانية ، واختار بعضهم سورة الكافرون والاخلاص واختار بعضهم آية الكرسي وأواخر البقرة واختار بعضهم آية (وربك يخلق ما يشاء ويختار) الى (يعلنون) في الركعة الاولى وآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الى (مبينا) في الركعة الثانية وقد فضلوا أن يكون ذلك قبل النوم مباشرة فقد تصادفه رؤيا صادقة وهى جزء من النبوة قال صلى الله عليه وسلم : ثم ليقل أي بعد الصلاة وهو على جلستها مستقبلا القبلة مستحضرا حاجته الى الله الدعاء الآتى :

دعاؤها : (اللهم انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر (ويجوز أن يسمى حاجته او يكتفى بنيته والا وهو أعلم بها) خير لي في دينى ومعاشي وعاقبة أمرى (وعاجل أمرى وآجله) فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في دينى ومعاشي وعاقبة أمرى (وعاجل أمرى وآجله) فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضنى به •

ويجوز تكرار هذا الدعاء في هذه الجلسة فان النبى صلى الله عليه وسلم : كان يحب تثليث الدعاء حتى اذا انشرح صدره مضى على اسم الله وبركته •

معلومات عنها :

واباح شيوخنا تكرار عمل الاستخارة الى ثلاث مرات في ثلاث ليال

بل الى سبع مرات كما نقله ابن السنى وغيره عن أنس اذا لم يتضح أمره وينشرح صدره لأمور جالية قال الامام النووى (ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له ، ثم قال : بل ينبغى للمتخير ترك اختياره رأسا والا فلا يكون مستخيرا وقال فاذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة من اختياره لنفسه) .

وأخذوا من حديث أبى أيوب جواز أن تكون صلاة الاستخارة في المرة الواحدة بأكثر من ركعتين بتسليمة واحدة كما أجازوا الدعاء فيها بما يستطيع ، قلنا : وقد تكون الرؤيا التى ترى بعد الصلاة من موجهاته الى تدبير الله واختياره وعليه ممارسة الاسباب الكونية مع الاستخارة النبوية مع اعتقاده أن المقدر سيكون ولله التدبير وهو على كل شيء قدير .

صلاة الحاجة

وهى الصلاة التى يتوسل بها العبد الى مولاه فيما أهمه ليقضى الله حاجته بفضله ويهيىء السبيل الكونى المتبع بين الناس له بقدرته ودليلها :

أولا : روى الترمذى بسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلا أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى أصبت في بصرى فادع الله لي قال صلى الله عليه وسلم اذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد انى استشفع بك الى ربى في رد بصرى قال : فما لبث الرجل أن رجع كأن لم يكن به ضر قط ، ثم قال صلى الله عليه وسلم (ان كان لك حاجة فافعل مثل ذلك) وفي بعض روايات الحديث خلاف يسير في الالفاظ ليس بذى بال .

ثانيا : وأخرج الطبرانى في معجمه الصغير والكبير أن رجلا كانت له حاجة عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان وما كان عثمان يهتم بشأنه (أي بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم) فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكا له فعلمه صلاة الحاجة المذكورة ففعل الرجل ثم أتى عثمان بن عفان فاكرمه وقضى له حاجته ثم لقى هذا الرجل عثمان بن حنيف فشكر له ـ ظنا منه بأنه اوصى به عثمان بن عفان .

فقال عثمان بن حنيف للرجل : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير (وقص عليه القصة السابقة) .

ثالثا : وفي كتاب الترمذى وابن ماجه قال صلى الله عليه وسلم : (من

كانت له حاجة الى الله تعالى أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله (أي بالتحميد والتسبيح والتكبير ونحوه) وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل : (لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين) وله أن يزيد من الادعية المأثورة ومن غيرها ما يشاء مما يوافق حاجته .

الخلاصة :

فمن كانت له عند اللهحاجة ، لازم هذه الصلاة ولو مرة في كل ليلة أو في كل يوم مكررا ذلك ، باحثا عن الاسباب العادية الكونية حتى يهيىء الله له السبب الذى تقضى به حاجته بفضله ورحمته فذلك هو حقيقة التسليم والتوكل .

وعليه أن يدعو بعد الصلاة بالدعاء السابق ويضيف اليه دعاء الضرير قائلا (اللهم انى أتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد انى استشفع بك الى ربى في حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه في) ثم يسمى حاجته بلغته معبرا عن شعوره مستغرقا في ابتهاله وتضرعه وخشوعه وتذلله ملحفا على ربه بكل ما وسعه من دعاء ولا يتعين التزام اللغة العربية هنا فاللغة وسيلة لا غاية .

ومن المستحسن أن يقنت بعد الركوع في الركعة الثانية فهو من السنة الثابتة في الشدائد وهو هنا أمثل وأفضل •

وكما تجوز صلاة الحاجة انفرادا تجوز في جماعة يهمهم الأمر كما اذا نزل بالمسلمين نازل أو أصاب الأسرة أو القرية أو الجماعة حادث فلهم أن يجتمعوا على هذه الصلاة كاجتماعهم على صلاة الاستسقاء والفزع وغيره وعلى هذا نص أصحاب المذاهب وغيرهم •

الآمال الخادعة

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ، وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ، ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) •

وقال تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) •

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) •

هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين الذين نسوا الله سبحانه وتعالى فعظم أملهم في الدنيا وازداد حرصهم عليها وانغمسوا فيها ليل نهار ، حتى أهلكوا أنفسهم وأشغلوا فكرهم ، واغتروا باقبال الدنيا عليهم وفتح أبوابها لهم فلم يخطر ببالهم يوما الموت ، بل لم يفكروا في القبور ، وكأنهم ضمنوا لأنفسهم الحياة ، وكأنهم أمنوا من الفقر وتبدل الحال •

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك ، رواه البخاري •

فالانسان في الدنيا غريب على الحقيقة اذ اقامته فيها محدودة وقراره فيها غير دائم وعلى الانسان أن يتذكر ذلك دائما لئلا ينسيه الحرص والأمل هذه الحقيقة الثابتة واذا أصبح فعليه أن ينتظر قدوم الموت قبل المساء ، وكذلك اذا أمسى عليه أن لا يتوقع بقاءه الى الصباح فلا يؤخر عملا يستطيعه في لحظته الحاضرة الى ما بعدها لانه لا يملك سواها وسوف يحاسب على أساسها وعليه استغلال فرصة حياته وقدرته على العمل قبل أن تفوته تلك الفرصة :

اذا أمسيت فابتدر الفلاحا ولا تهمله تنتظر الصباحا
وتب مما جنيت فكم أناس قضوا نحبا وقد باتوا صحاحا

واذا كان الموت بهذا القرب وذاك التوقع فعلى الانسان ان يكون مستعدا له بفكره وعمله ، وأن يعتبر نفسه ميتا في كل لحظة فيوفى بالحقوق التى عليه ويرسم طرق ذلك فيما يملك بعد موته بكتابة وصيته الى من بعده . وخص المؤمن بالذكر من قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم الخ) لأنه هو الجدير بهذا الترقب وذاك الفهم الواعى بحقائق الحياة وقد بادر ابن عمر الى تطبيق هذا التوجيه الحكيم بمجرد ما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما حق امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده) (متفق عليه هذا لفظ البخارى) وفي رواية لمسلم (يبيت ثلاث ليال) .

قال ابن عمر (ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى) .

واذا علم الانسان أن الأغراض المتربصة به كثيرة ان سلم من أحدها لم يسلم من الآخر ، فانه لا شك حريص على استغلال وقته وقدرته في العمل الصالح .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا الى هذا الذى في الوسط من جانبه الذى في الوسط فقال : هذا الانسان وهذا أجله محيطا به أو قد أحاط به وهذا الذى هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فان أخطأه هذا نهشه هذا) رواه البخارى .

وهذه الأعراض أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : (بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

فالفقر كان منسيا لما يجره من آلام على الانسان تنسيه فرصة العمل والغنى كان مطغيا لما يفتح من فرص الاستمتاع بالشهوات ، فيلهى عن الوفاء بالحقوق للحق والخلق والمرض : كان مفسدا ، لأنه يمنع من القدرة على أداء الطاعات والهرم : كان مفندا ، لأنه يضعف الانسان عن أداء ما ينبغى بحسن تصرف ، والموت : كان مجهزا ، لأنه يقضى سريعا على حياة الانسان فلا يمكنه من تحقيق آماله واتمام أعماله ، والدجال المنتظر : هو الذى يدعو الناس الى الكفر ولا نجاة منه الا بالعصمة وقوة الايمان ، والساعة هى التى تنتهى فيها فرص العمل ، والتى هى الداهية العظمى والمرارة الكبرى ، فعلى الانسان اغتنام فرصته الحاضرة قبل أن تفوت فلا يتمكن من تعويضها .

بين الامـــل والاجـــل

عن أنس رضي الله عنه قال : (خط النبى صلى الله عليه وسلم خطوطا فقال هذا الانسان وهذا أجله فبينما هو كذلك اذ جاء الخط الأقرب) رواه البخـــارى •

يصور الرسول صلى الله عليه وسلم المعقول بصورة المحسوس فالانسان ينطلق مع آماله في الحياة متناسيا كل شيء كأنه ضمن لنفسه الخلود أو طول البقاء وبينما هو في هذا التصور وعلى هذا السلوك يفاجأ بما لم يتوقع وقـــد يهجم عليه المرض أو يأتيه الموت على غير استعداد ، ومن هنا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يأمرنا بتذكر الموت ويقول :

(اكثروا من ذكر هاذم اللذات يعنى الموت) رواه الترمذى وقال حسن•

لأن كثرة ذكر الموت ودوام ترقبه تقطع كثيرا من الشهوات ، وتذهب كثيرا من اللذائذ المحرمة أو التى تسوق الى الحرام وأنه هو السبيل الأساسي لقطعها •

وقد كان صلى الله عليه وسلم دائم التذكر للموت حتى أنه كان يقـــوم من الليل منبها لأمته من سنة الغفلة محرضا لها على ما يوصلها لمرضاة اللـــه سبحانه وتعالى محذرا لها من الموت وقيام الساعة مبينا لهم أن رجفة الساعة كأنها حضرت لشدة اقترابها وأهوال الموت كأنها جاءت •

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلث الليل قام فقال : (يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة

تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه) رواه الترمذى وقال : حديث حسن يقول الامام البخارى :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم خرجت نفسه النفيسة فلتة

ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم يأمرنا بزيارة القبور ويقول كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، رواه مسلم •

وفي رواية (فمن أراد أن يزور القبور فليزرها فانها تذكر الآخره) •

والحكمة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية وكلماتهم القبيحة وطقوسها الباطلة ثم لما تمهدت القواعد واتضحت الأحكام فعلموا ما ينفع وما يضر وما يخرج عن الدين وما لا يخرج أباحها لهم ووجههم اليها لما فيها من تذكر بالموت وانذار بالمصير وحث على العمل الصالح وقد قوى هذا الأمر بزياراته المتكررة للقبور وقسمها النووى أقساما:

١ ـ لمجرد تذكر الموت والآخرة فيكفى رؤية القبور من غير معرفة أصحابها •

٢ ـ لنحو الدعاء لكل مسلم •

٣ ـ للتبرك فيسن لأهل الخير لبركاتهم والتعرف على آثارهم والقيام بالواجب نحوهم •

٤ ـ لأداء حق نحو صديق أو والد •

٥ ـ لرحمة وتأنيس لمن يحب ويعرف •

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الليل حيث الهدوء والسكون والروحانية الصافية يخرج الى البقيع حيث مقابر أهل المدينة

فيزور الأموات ويخاطبهم بالسلام والألفاظ الدالة على حتمية الموت وعدم الانتفاع بغير العمل ويدعوهم بالمغفرة •

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع ، فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) رواه مسلم •

ويقول بريدة رضي الله عنه : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية) رواه مسلم •

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال (السلام عليكم يا أهل القبور يغفر اللا هلنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر) رواه الترمذى وقال حديث حسن •

وهكذا يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين آداب زيارة القبور وهى السلام على المؤمنين من الأموات والمسلمين واعلان ترقب الموت وتوقعه والايمان به وسؤال الله سلامة الدين والدنيا للجميع •

وهذا يفيد أيضا شعور الأموات واحساسهم بعمل الأحياء خاصة من يزورهم ، وانتفاعهم بدعاء اخوانهم من المسلمين ، وسُنّية زيارة القبور •

ما لا عــين رأت (١)

قا ل الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمــرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

وقال تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) .

ثبت في الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان أن أبواب الجنة ثمانية ، ولكل أهل عمل باب من أبواب الجنة ، يدعون منه بذلك العمل ، فللصائمين باب خاص يسمى باب الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخــل معهم غيرهم ، يقال : أين الصائمون ، فيدخلون منه ، فاذا دخل آخرهم أغلق ، فلم يدخل منه أحد .

وهناك باب يقال له الضحى ، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد : أيــن الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى ؟ هذا بابكم ، فادخلوا برحمة الله .

وهناك باب خاص لا يدخل منه الا من أطعم مؤمنا حتى يشبعه ، لا يدخل معه منه الا من كان مثله .

وهناك باب للصلاة ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصــلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقــة دعى من باب الصدقة ، ومن أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة .

وقد يتفضل الله سبحانه وتعالى على بعض عباده الصادقين الباذلــين

أنفسهم في سبل البر وأنواع الخير ، فيدعى من جميع الأبواب ، وذلك كأبي بكر الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يدعى أحد منها كلها ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم وارجو ان تكون منهم •

ومعنى يدعى منها كلها أي ينادى من جميع هذه الأبواب وهو دعاء تنويه واكرام ، ثم يدخل من الباب الذى غلب عليه العمل •

وهذه الأبواب تفتح كلها لبعض أرباب الأعمال في الدنيا ، فمن توضأ وأسبغ الوضوء ثم قال : أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الخ •• فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء •• وفي رواية : بزيادة : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله وابن أمته ، وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق •

ومن مات له ثلاثة من الولد ، دون البلوغ تتلقاه أولاده من أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء •

والمرأة اذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلي من أي أبواب الجنة شئت •

ومن كان له ابنتان او اختان او عمتان او خالتان وعالهن ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة •

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال : (ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحـــام) .

وفي رواية : يقول صلى الله عليه وسلم : (والذى نفس محمد بيـــده ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى) .

يقول قتادة : هى أبواب ، يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها تتـكلم وتـكلم وتفهم ما يقال لها : انفتحى انغلقي .

ما لا عـين رأت (٢)

تحدث القرآن الكريم في كثير من آياته عن الجنة وأوصافها العامة فأخبرنا أنها جنة المأوى ودار الخلد ودار السلام وفيها الروح والريحان والنعيم المقيم ، وأن عرضها السموات والارض وهى معدة مهيأة للمتقين مفتحة لهم الأبواب ، وكذلك تحدث صلى الله عليه وسلم عن الجنة وأوصافها العامة في كثير من الأحاديث النبوية والقدسية وأقسم برب الكعبة أنها نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية ، لا تقاس بالدنيا بما فيها ، فأقل شيء في الجنة هو أعظم من أعظم شيء في الدنيا ، بل ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، وان قاب قوس واحد من أهل الجنة فيها خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ولو أن رجلا من أهل الجنة طلع فبدت زينته وحليته وأساوره لطمس ذلك ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولا يستطيع العقل البشرى مهما اتسعت مداركه وآفاقه العلمية أن يتصور حقيقة ما في تلك الدار من أنواع النعم وموائد الكرم ولذة النعيم ومتعة النظر الى الوجه الكريم ولطائف الأنس في حظيرة القدس ، لأن الله تعالى نفى وجود العلم

الكامل التام بحقيقة ما في ذلك المقام ، فقال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وهذا هو الذى أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله (أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

ولذلك فان الانسان اذا رأى ذلك النعيم وانغمس فيما أعده الله له من خير ومقام وانصبغ في الجنة صبغة يمتلىء قلبه ونفسه بالبهجة والحبور والفرح والسرور وينسى ما كان فيه في الدنيا من بؤس وشدة وتعب وضنك حتى أنه ليقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسا ؟ هل مر بك شدة ؟ فيقول : لا والله يا ربى ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط .

ففى هذا السبيل تبذل المهج وتباع الأنفس ويتسابق المجدون ولأجل هذه السلعة الغالية يسارع المؤمنون معتقدين أن من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، وأن المنزل هو سلعة الله الغالية ، وأن سلعة الله هى الجنة ، فلا يصل الا الموفق المحفوظ ، والمؤيد الملحوظ الذى لا تغره الشهوات المحيطة بالنار ولا تضره المكاره التى حفت بالجنة .

لأن الله لما خلق الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ثم حفها بالمكاره ، ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أي رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب

فنظر اليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها .

ولما خلق الله الجنة ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها نظر اليه فقال لها تكلمى فقالت : طوبى لمن رضيت عليه قد أفلح المؤمنون ، فقال : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل ، فلا يصل اليها بسلام وأمان الا المفلحون ولا يفلح الا المؤمنون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

ما لا عــين رأت (٣)

ولما كان الانعام والاكرام الأخروى في الجنة متفاوتا لاختلاف أعمــال الناس اقتضى ذلك أن تكون منازلهم في الجنة أيضا على مراتب مختلفــة ودرجات متفاوتة ليظهر فضل الفاضل وسبق الكامل وجهد العامل •

وقد أخبر الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن في الجنة درجــات فقال (درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) وقال (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) وقال (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) •

وأخبر سبحانه وتعالى أن الناس يزيد بعضهم على بعض في تلك الدرجات فقال (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فيّ سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى) •

وان العبد ليرفع بصره وهو في الجنة فيلمع له برق وفي الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، وأعلى هذه الدرجات وأعظمها هى الفردوس •

فالفردوس أعلاها درجة وفوقــه عرش الرحمن ، ومنها تفجــر أنهــار الجنة الأربعة •

ولذا فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألنا الجنة أن

نسأل الله الفردوس ، وبين لنا سبيل ادراك أعلى هذه الدرجات وطريق الوصول الى أشرفها وابواب الارتقاء فيها وهى :

اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

وهناك درجة مخصوصة لا ينالها الا ثلاثة امام عادل وذو رحم وصول وذو عيال صبور ، فمن أحب أن ينال أعلى الدرجات أو يفوز بتلك الدرجات المخصوصة فان طريقها معروف ، وبابها مفتوح وسبيلها ميسر قريب ، وكلما كان الحرص والجد والاجتهاد عظيما كانت الدرجة عالية والنتيجة ناجحة والتجارة رابحة والفوز كبيرا والخير كثيرا ، وهذا لا تظهر حقيقته وتبرز صورته الا هناك في مساحات الرضوان ورحاب الرحمن يوم يكون لتلك الدرجات نور يلمع كالبرق الخاطف .

ولما كان المؤمن ذا همة عالية ورغبة رفيعة غالية لا يقنع الا بالمعالى ولا يرضى الا بالمراتب العوالي - كان لا بد أن تتشوق نفسه الى أعلى هذه الدرجات وتتوق الى أشرفها وتتعلق بأكملها وأرفعها ولذلك فتحت له في الدنيا ابواب واسعة من صالح الأعمال يدخل منها ويسعى اليها فيرفعه الله بها في الجنة درجات يرقى فيها ويرقى حتى يصل الى المنزلة الرفيعة المقدرة له ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى .

ومن تلك الأبواب - الجهاد في سبيل الله وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته واسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، واكثار من ذكر الله وكلمة طيبة ترضى الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يلقى لها بالا ، وصبر جميل على بلاء مكروه عظيم وشفاعة حسنة عند ذى سلطان في دفع مكروه أو مبلغ بر وعفو عمَّن ظلم واعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع وقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الناس

بدرجات معينة لا ينالها غيرهم ولا يدركها الا من عمل بعملهم ، فهناك درجة مخصوصة لاينالها الا أرباب الهموم والتفكير في السعى على العيال بالحلال فيتعجب الناظر ويأخذه الفزع من ذلك البرق اللامع الذى كاد يخطف بصره ويقول ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك فلان فيرى نوره أعظم من نوره ودرجته أعلى من درجته ، فيقول أخى فلان كنا نعمل في الدنيا جميعا فكيف قد فضل علي هكذا ؟ فيقال له : انه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه لرضا حتى يرضى .

وان الرجل وعبده يدخلان الجنة فيكون عبده أرفع درجة منه فيقول يا رب هذا كان عبدى في الدنيا فيقال : انه كان اكثر ذكرا لله منك .

ما لا عـين رأت (٤)

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر أبوابهم ، أي الأمم ، كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (باب أمتى الذين يدخلـون منه الجنة ، عرضه مسـيرة الراكب ثلاثـا ، ثم انهم لينضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول) •

وفيه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : (أتـاني جبريل فأخذ بيدى ، فأرانى باب الجنة الذى يدخل منه أمتى) الحديث •

وعن أبى هـريرة رضي الله عنه قـال : وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشـاة اليه ، فنهش نهشة ، وقال (أنا سيد الناس يوم القيامة) ثم نهش أخرى ، وقال (أنا سيد الناس يوم القيامة) فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيف يا رسول الله ؟ قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال : (يقوم الناس لـرب العالمين ، فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر) فذكر حديث الشفاعة بطولـه ، وقال في آخره : فأنطلق فآتى العـرش ، فأقع ساجـدا لربى ، فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلى ولن يقيمه أحدا بعدى ، فأقول : يا رب أمتى فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمـن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب •

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : ان أبواب الجنة هـكذا بعضها فوق بعض ، ثم قرأ (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها) اذا هم عندها

بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من احداهما ، فلا تترك في بطـونهم قذى ولا أذى الا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رءوسهم ، ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم قرأ (طبتم فادخلوها خالدين) فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، وتتلقاهم الولدان فيستبشـرون برؤيتهم ، كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينطلقون الى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم ، فتقول : أنت رأيته ؟ فتقوم الى الباب فيدخـل الى بيته فيتكيء الى سريره فينظر الى أساس بيته فاذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه الى سمك بيته فـلولا أنه خلق له لالتمع بصره ، فيقول : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

وفي قوله سبحانه وتعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) معنى بديع ورائع ، وهو أنهم اذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتحة كما هى .

وأما النار فاذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال الله تعالى : (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة مغلقة ، ومنه سمى الباب وصيدا ، وهى مؤصدة (في عمد ممددة) قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها ، كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح ، آخر الأبد .

وأيضا فان في تفتيح الأبواب لهم اشارة الى تصريفهم وذهابهم وايابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤا ، ودخول الملائكة عليهم في كل وقت بالتحف والألطاف ودخول ما يسرهم عليهم في كل وقت .

وأيضا اشارة الى أنها دار أمن لا يحتاجـون فيها الى غـلق الأبـواب كما كانوا يحتاجون الى ذلك في الدنيا ، قال فيه : ولما كانت الجنان درجـات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنـة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه وسعة البـاب بحسب وسع الجنة •

ولعل هذا وجه الخلاف الذى جاء في مسافة ما بين مصراعى البـاب ، فان أبوابها بعضها أعلى من بعض •

من أشـراط السـاعة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يتقبل منه صدقة ماله ، قال يقبض العلم ويقترب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا الهرج أيم هو يا رسول الله قال القتل القتل رواه أصحاب الصحيح .

كثرة المـال

يخبرنا صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن جملة من أشراط الساعة ومنها كثرة المال وان الانسان لا يجد من يقبل صدقته حتى يحصل له من ذلك هم ، قال النووى وسبب عدم قبولهم الصدقة في آخر الزمان كثرة الأموال وظهور كنوز الأرض كما ثبت في الصحيح بعد هلاك يأجوج ومأجوج وقلة الناس وقلة آمالهم وقرب الساعة وعدم ادخارهم المال وكثرة الصدقات اهـ .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما يترتب على كثرة المال من عدم وجـود المحتاج الذى يقبل الصدقة ، فيبقى المال عند أصحابه وفي ذمتهم فيقلق لذلك أصحاب الأموال ويحزنون ، ولذلك حث صلى الله عليه وسلم على المسارعة الى الصدقة وحذر من التسويف بها وتأخيرها تصريحا فقال صلى الله عليـه وسلم (تصدقوا فانه يأتى عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجـد من يقبلها يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لى بها) .

فان قيل ولم هذا التحذير مع أن من أخرج صدقته فانه يثاب على نيته وان لم يجد من يقبلها ؟

فالجواب أن الواجد يثاب ثواب المجازاة والفضل والناوى يثاب ثواب الفضل فقط والاول أربح • باري ٣/٢١٨

قبض العــــلم

والمراد بقبض العلم ذهابه وليس المراد بذلك انتزاعه من الناس بـل موت العلماء وقبضهم فأراد بقوله يقبض العلم يقبض أهل العلم من باب اطلاق الحال وارادة المحل نظيره قوله تعالى : (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) وقد جاء هذا مصرحا به في رواية أخرى قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) رواه البخارى •

اقتراب الزمــان

والمراد باقتراب الزمان قربه من الساعة ويحتمل أن يكون المراد قصره وعدم البركة فيه وان اليوم مثلا يصير الانتفاع بالساعة الواحدة ولعل هـذا أظهر وأوفق للاحاديث واكثر فائدة ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعـة والجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة) الحديث رواه الترمذى •

كثرة القتــل

ومن تلك كثرة القتل وفي صحيح مسلم والذى نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتــل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل • وفي سنن ابن ماجــه بعد قوله ان الهرج القتل فقال بعض المسلمـين يا رسول الله انا نقتل الآن وفي العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقــال

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل المشركين ولكن بقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته فقال بعض القوم يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ، تنزع عقول اكثر أهل ذلك الزمان وتخلف لهم هباء من الناس لا عقول لهم .

قال الشاعر :

عرجت عقول أولى النهى   والحبر قال ستعرج

قوله تظهر الفتن أي تكثر ظهور الفتن وتشتهر فلا يخفيها أصحابها ولا يسترونها ، والمراد كل ما يؤثر في أمر الدين .

فهـــرست

الموضــوع	رقم الصفحة
مقدمــة المؤلف	٣
كلمة عن القــرآن	٤
وجوب تنظيم القــرآن	٨
الاستعاذة حكمها وحكمتها (١)	١٠
الاستعاذة حكمها وحكمتها (٢)	١٢
الاستعاذة حكمها وحكمتها (٣)	١٤
الاستعاذة حكمها وحكمتها (٤)	١٧
سجـدة التـلاوة	٢٠
مكانة السنة و فضلهـا	٢٥
ذكــر اللــه	٢٨
ذكــر اللــه	٣٢
من ابــواب المغفــرة	٣٥
التقوى باب كل خـير	٣٩
التقوى طريق النصـر	٤٢
فضائــل صلاة الضحى	٤٥
شرف صــلاة الليل	٤٨
شرف الامة المحمـدية	٥٢
الايمان بالله سبحانه وتعـالى	٥٧
الايمان والاستقامـة	٦٠
اسس السـير الى الحق	٦٤
العقل لا يكفى وحده للهداية	٦٧
رضيت باللــه ربـا	٧٠
ورضوان من اللــه اكبر	٧٣
الصـراط المستقيـم	٧٥
البرهـان والسـلطان	٧٨

الموضـوع	رقم الصفحة

موقف الاسلام من موالاة الكفـار	٨٢
اليهـود والحسـد	٨٥
فضل الاسلام في وحدة الامـة	٨٧
وحدة الامة ومؤتمر القمة الثالث بمكة المكرمة	٨٩
مظهـر الوحدة في العبادات	٩٢
المؤمن كالجسـد الواحـد	٩٥
الحضارة في الاسـلام	٩٧
الرفـق بالحيـوان	١٠٠
الاحسـان الالهـى	١٠٥
انما الدنيـا لاربعة نفـر	١٠٨
اهـل الاحسـان	١١١
فضل العلمـاء العاملـين	١١٤
العلم هو وسيلة تصحيح العمل	١١٨
التوبة رجعـة مقبولة	١٢٢
على بسـاط الـكرم الالهى	١٢٤
شـؤم المعـاصي	١٢٨
الاستخـارة	١٣٢
صـلاة الحـاجة	١٣٥
الآمـال الخادعـة	١٣٨
بين الامـل والاجـل	١٤١
ما لا عـين رات (١)	١٤٤
ما لا عـين رات (٢)	١٤٧
ما لا عـين رات (٣)	١٥٠
ما لا عـين رات (٤)	١٥٣
من اشـراط السـاعـة	١٥٦

مطابع سحر جدة
ت ٦٣١٤٤٠٥ - ٦٣١٤١٤٩ - ٦٣١٤٥٣٣